الباب الرابع

الإعلام الصهيوني

obeikandl.com

الفصل الأول

الإعلام الصهيوني
والهيمنة اليهودية على أوربا

لقد استطاعت الصهيونية اليهودية بواسطة إمكاناتها المادية، وتقديم كل أنواع الدعم الفكري، والنفسي، واستخدام الترغيب والترهيب، والابتزاز والتجسس لكل ما يتعلق بطرح الصهيونية الإعلامي، من الاستحواذ على إمبراطورية إعلامية عالمية، والتي من خلالها روّج الصهاينة اليهود لأفكارهم، وتصوراتهم، وادعاءاتهم ولوجهة نظرهم، وأعلنوا، ورسّخوا ادعاءاتهم التاريخية والسياسية من خلالها خطابهم الإعلامي، وحجبوا أي خطاب معارض يمكن أن يقف على المنابر الإعلامية، أو يحاول كشف خباياهم وخفاياهم، لا سيما وأن اليهود قد خبروا تاريخيا كيف لهم أن يوظفوا الإعلام لإيصال مقولاتهم، ودعاواهم التاريخية، والسياسية، مسنودة بمقدراتهم الفذة على العمل، من خلال الكواليس، وجماعات الضغط، والمنظمات السرية، التي من خلالها استطاعوا السيطرة على أعلى الهيئات السياسية في العالم الغربي، بوساطة المال الأسود، ومعرفة، بل وصناعة السيّر الشخصية للقادة السياسيين الأوربيين، والأمريكيين، وبدعم من اللوبي الصهيوني ذي التنظيم المترابط، والقدرات المادية والفكرية الجبارة، والمدعوم من قبل المؤسسات الغربية الرسمية.

وقد استفادت الصهيونية من كون العاملين في هذا الجهاز الإعلامي مواطنين يحملون الجنسيات الأوربية، والأمريكية، الأمر الذي جعل من هذا الجهاز الإعلامي الصهيوني يعمل في كل دولة على أنه إعلام داخلي تابع لإعلام الدولة الرسمي، أو للمؤسسات الإعلامية شبه الرسمية، أو الحرة، والعاملون فيه مواطنون يتكلمون اللغة القومية لبلدانهم، وينتمون إلى مؤسسات إعلامية قومية أيضا، ولذلك فإن هذا الجهاز الإعلامي يُؤخذ من قِبل المتلقي المستهدف على درجة كبيرة من المصداقية.

وإضافة إلى ذلك فإن الأصولية المسيحية المتغلغلة في البنية الاجتماعية المسيحية الغربية، قدّمت الكثير من الدعم للإعلام الصهيوني في ادعاءاته الدينية والتاريخية، بل إن هذه الأصولية كان لها تأثير مباشر على الذهنية الغربية المسيحية أشد من تأثير الإعلام

الصهيوني نفسه، لا سيما في الاوساط البروتستانتية الأمريكية، والفرق المشتقة منها {الإنجيليون - شهود يهوه - السبتيون - المتجددون - الدهريون - المعمدانيون}، وبالتالي فقد تمكّن الإعلام الصهيوني، وبمساعدة الأصولية المسيحية، أن يهيمن على الذهنية الأوربية المسيحية، وفي هذا السياق يقول لويد جورج رئيس الحكومة البريطانية (١٩١٦ - ١٩١٩م) {نشأت في مدرسة تلقنت فيها تاريخ اليهود أكثر مما تلقنت تاريخ بلادي، وبمقدوري أن أذكر أسماء ملوك إسرائيل جميعا، ولكني أشك في مقدرتي على تذكر أسماء ستة من ملوك إنجلترا، أو مثل هذا العدد من ملوك ويلز، لقد أُشربت نفوسنا بتاريخ الجنس العبري في أيام أمجاده العظيمة، واستوعبنا أدبه المقدس باعتباره جزءا من أفضل ما في الأخلاق المسيحية}.

ويقول القس دينجل النائب عن ولاية متشغان الأمريكية {لقد تعلمت دائما أن أعتقد بأن فلسطين هي وطن أجداد اليهود التاريخي الذي وهبه الله إلى اليهود، وتعلمت كذلك أن أؤمن بأن الله قضى بأن يعود يهود العالم يوما إلى وطنهم التاريخي}، وهذا يعني أن العرب الذين يرفضون، ويكافحون ضد عودة اليهود إلى فلسطين، ويدافعون عن وجودهم، وتاريخهم، وأرضهم، وماضيهم، ومستقبلهم، إنما يقفون ضد المشيئة الإلهية في عودة الشعب المختار إلى أرض الميعاد.

وتقول الكاتبة الأمريكية غريس هالسل {نشأت في بيت مسيحي أصغي إلى الكتاب المقدس وأقرؤه، درسنا قصص العهد القديم حول إقامة الشعب اليهودي في أرض فلسطين، وحروب ملوك إسرائيل، وعهود الرب مع الشعب المختار، ولقد فهمت هذا الكتاب المقدس مثل ملايين المسيحيين الأصوليين الآخرين على أنه توثيق لعلاقة خاصة أقامها الرب مع شعبه المختار، وتعلمت أن أؤمن بما قاله المؤلفون العبرانيون من أنهم وقبيلتهم الشعب المختار لدى الرب، وبما أن اليهود شعب الله المختار، فإن الرب يبارك الذين يباركون اليهود، ويلعن الذين يلعنون اليهود}.

أما الأب فورست فقد قال {كنت معاديا للعرب، ومناصرا لإسرائيل مثل أي فرد في المجتمعات الغربية، وحين أتذكر ما تلقيناه في المدرسة عن الحروب الصليبية، وما قرأناه في القصص عن العرب القذرين، العرب الماكرين، العرب النهابين أدرك مقدار ما أُخضعنا له من إعداد سيئ، وأعتقد أنني في عدائي للعرب كنت صورة عن الغربيين قارئي الصحف الذين يؤمنون بتعاليم الكنيسة عن طيبة قلب، ونية حسنة، وكان لدي نزعاتي الموالية لإسرائيل والمناهضة للعرب، فاليهود كانوا بالنسبة لي شعب الله المختار، والقدس مدينتهم المقدسة، وفلسطين أرضهم المقدسة، وإنها لعلامة على فضل خاص من الله أن اليهود بعد قرون من التشرد استطاعوا العودة إلى أرض آبائهم، وبدا الأمر معقولا وجيدا أن الشعب الذي عاش فوق هذه الأرض، وهم العرب الرحل الذين يتنقلون من مكان إلى آخر على ظهور الحمير والجمال، يجب أن يترك أرضه لهؤلاء اليهود، لقد ورثت هذه الأفكار من كنيستي، ومن مدرسة الأحد.. وحين اكتشفت البون الشاسع في ما بين القصة الحقيقية وبين ما سمعته وقرأته في الغرب، أحسست أن الصحف ووسائل الإعلام الأخرى التي وثقت بها، قد ضللتني وخدعتني، ولا أزال أحس أنها تخدعني حين أقرأ ما فيها من افتتاحيات ورسائل القراء، أو حين استمع إلى واعظ بروتستانتي، يشرح بعد أن يكون قد قام برحلة مجانية إلى إسرائيل، كيف أن إرادة الله قد قضت بأن تأخذ إسرائيل فلسطين}، وهذا يتطلب من الجانب

العربي أن يبذل جهودا خاصة من أجل تصحيح التصور الغربي المسيحي للشخصية العربية التي كان الإعلام الصهيوني قد رسمها في ذهنية الغرب المسيحي.

ومن الأمور التي ساهمت في نجاح الإعلام الصهيوني هو النظرة الرومانسية، التي كان ينظر من خلالها بعض الأوربيين إلى اليهود الذين لم، ولن يتخلوا عن حنينهم إلى فردوسهم المفقود في الأرض المقدسة التي عاش فيها آباؤهم الأوائل، وأنبياؤهم، وشعراؤهم، ولن يعيشوا بشكل سوي خارج هذه الأرض المقدسة، والبعض، وتحديدا، العرق الأبيض في القارة الأمريكية، وفي الجيوب الاستيطانية الغربية (استراليا - جنوب أفريقيا)، كانوا يُعَدّون الاستيطان الصهيوني اليهودي في فلسطين، هو وجه آخر لاستيطان الرجل الأبيض، فكلا الاستيطانين يرجع إلى جماعات تحمل أكثر من ثقافة، وأكثر من جنسية، تجمعوا واستوطنوا في أرض جديدة من خلال أعمال غير شرعية (مجازر دموية لاإنسانية) ضد المواطنين الأصليين للبلاد، وكلاهما طمسا التاريخ الحقيقي للحضارة الأصلية في كلا الموقعين، وشوها الصورة الحقيقية الإنسانية لأصحاب الأرض الأصليين، وكمما أصواتهم أو صرخاتهم في الدفاع عن أنفسهم أمام الرأي العام، وكلاهما ادعيا أنهم رسل تبشيريون للحضارة الغربية، والفارق الوحيد بين الاستيطان اليهودي، وبين استيطان الرجل الأبيض هو فيما تدعيه الصهيونية اليهودية من حق الأسبقية التاريخية في أرض فلسطين، أو أرض الميعاد المقدسة، مضافا إلى ذلك ادعاءها أن فلسطين أرض بلا شعب، واليهود شعب بلا أرض، أما الرجل الأبيض فقد استعاض عن ذلك بحجة أنه قام بالاستيطان في الأرض المشاع لقارة واسعة الحدود يمكن لها أن تستوعب المزيد من السكان، وبذلك حقق أو أسس أسبقية تاريخية في امتلاك الأرض التي ادعى أنه استولى عليها عذراء، ولم تكن مؤهولة بالسكان، وهي تشابه الذريعة التي قدمتها التوراة في تأسيس الأسبقية التاريخية في فلسطين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، حيث أدعى المؤرخ التوراتي أن الإسرائيليين هم أول من شكل كياناً سياسياً عسكرياً اعتبارياً في فلسطين، وبذلك فإن دفاع العالم الغربي عن ادعاء الصهيونية بحقها التاريخي بأرض فلسطين، هو دفاع عن ادعاءات استيطان الرجل الأبيض في أرض الرجل الأحمر في أمريكا، ولذلك فقد وقف العالم الغربي إلى جانب الاستيطان اليهودي كدفاع مضمر عن استيطان الرجل الأبيض، وخوفا من أن تكشّف حقيقة زيف الدعاوى اليهودية الصهيونية، سيؤدي إلى تكشّف، وإدانة الفكر الاستعماري الاستيطاني، وفتح ملفات الاستيطان الغربي لأمريكا، وإعادة النظر في قراءة تاريخ الحقبة الأولى لاستيطان الرجل الأبيض، والمجازر الوحشية التي نفذها في أصحاب الأرض الحقيقيين من الهنود الحمر، والمواطنين الأصليين في أوستراليا، وجنوب أفريقيا، وبعض الجزر البحرية.

لقد امتلك الإعلام الصهيوني القدرة على تسويق خطابه كمنتج وحيد للصراع العربي الصهيوني، ولا سيما بغياب الإعلام العربي عن ساحة المعركة، وهذا ما مكّن الإعلام الصهيوني من تزييف الحقائق، حتى البسيطة والواضحة منها، دون أدنى جهد، وزرع ما يخدم أهداف الصهيونية اليهودية في عقول وعواطف الرأي العام العالمي، وفي هذا السياق يقول كارتز كوهين [تسيطر الروح اليهودية على كل البلاد التي عانى الشعب اليهودي بين ظهرانيها كثيرا ورفض الانصهار في بوتقتها، إننا لسنا بحاجة اليوم لعزل أنفسنا لأننا أصبحنا نملك السلطة ونمسك بصولجان السيطرة الموعودين به، فمن دوننا لا يستطيع أي عاهل أو

حاكم في هذا العالم أن يتخذ قراره المناسب بعيدا عن إرادتنا، لأننا نحن الذين نتحكم ببورصة الذهب والمال، كما لا يوجد أي صحافة تجرؤ على نشر عدائها لنا، لأننا نتحكم بصحافة العالم كله، كذلك لا يمكن لأي فكر لا يروقنا أن يدخل عالم الفكر من دون إذننا، فنحن من يهيمن على المسرح والأدب والفكر، ألا ترون بأن الروح اليهودية قد غزت العالم؟}.

أما برنار براون فيقول {استطاعت صحافتنا اليهودية لجم الصحافة المعادية لنا إلى درجة أن الصحف الأمريكية اليوم باتت تمتنع عن الإفصاح عن أن فلانا من الناس يهودي غير مرغوب فيه}.

والإعلام الصهيوني عرف كيف يوجه خطابه إلى الشرائح الاجتماعية كافة على اختلاف انتماءاتها الدينية، والسياسية، وعلى كل مستوياتها المعرفية، والعلمية، والثقافية، وقد اهتم الإعلام الصهيوني بالتغلغل، على وجه الخصوص، في أوساط النخبة ولا سيما الأكاديمية منها، والتي تأخذ، أو ستأخذ في المستقبل، موقعها في البنية التحتية، أو الفوقية لمراكز اتخاذ القرار ابتداء بالمنظمات المدنية، وانتهاء بالسلطات العليا التشريعية والتنفيذية للمجتمعات والدول الغربية، كما أن الإعلام الصهيوني استطاع غزو العقل اللاواعي الأوربي، ولا سيما عند الأطفال والشباب من خلال اختراقه، وامتلاكه للوسائط التربوية التعليمية، كما أنه لم يكتف بالهيمنة على الصحافة الإعلامية فحسب، بل استطاع أن يتغلغل في الفنون السبعة دون استثناء تقريبا، خاصة وأن الفن، والأدب الأوربي يستلهم بعده اللاهوتي العقيدي من التصورات التوراتية، وقد توسع وانفتح خطاب الصهيونية الإعلامي بعد هيمنته على النظام العولمي الحديث بأشكاله الإعلامية والاستهلاكية كافة.

ومن الأسباب التي ساهمت في نجاح الإعلام الصهيوني في مسعاه، هو دعمه المتبادل مع جماعات الضغط التي عرفت الصهيونية كيف تشكلها، وتستحوذ عليها، ولا سيما في الدول العظمى، وتحديدا في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تُرسم سياساتها الخارجية، والداخلية بتأثير جماعات الضغط المتعددة، وقد استطاعت الصهيونية أن تشّكل أكبر لوبي في أمريكا، مدعومة بقوة مالية كبيرة، وبشخصيات قيادية وذات نفوذ في مؤسسات القرار، إضافة إلى استنادها على هيمنة إعلامية ضخمة، وهذه التشكيلة متضافرة، مكنت الصهيونية من أن تكون لها اليد الطولى في رسم السياسات الأمريكية الخارجية، لا سيما في ما يتعلق بالشأن الإسرائيلي، وأهم ما يقوم الإعلام الصهيوني بالتدخل فيه، وبالتكامل مع اللوبي الصهيوني، هو انتخابات الرئاسة الأمريكية، والتي تجعل من المرشحين إلى سدّة الرئاسة يتسابقون في إطلاق وعودهم بتقديم أقصى ما يمكن من دعم لدولة إسرائيل في صراعها التاريخي، السياسي، العسكري، مع الأمة العربية، والإسلامية والرؤساء في وعودهم إلى دولة إسرائيل على وجه التحديد يلتزمون بتعهداتهم على أكمل وجه، بعد تسلمهم الرئاسة، خوفا من انتقام اللوبي اليهودي الصهيوني الذي يسيطر على مفاصل السياسات الأمريكية من خلال عدة وسائل، منها، وعلى رأسها:

القوة المالية التي تستطيع أن تفعل فعلها بطريقة مباشرة، أو بطريقة غير مباشرة.

كما أن اللوبي اليهودي، عرف كيف يتسلل إلى مخادع السير الشخصية لرجالات السياسة، الأمر الذي يمنحه مجموعة من أوراق الضغط ذات التأثير الكبير، لا سيما وأنه يمتلك أكبر إمبراطورية إعلامية قادرة على أن تقوم بصناعة الأساطير، وتلفيق الدعاوى، وتشويه الحقائق.

وربما لن يتورع اللوبي، في بعض الأحيان، من التهديد، لا بالتصفية السياسية فحسب، بل وبالتصفية الجسدية.

إضافة إلى اعتماد اللوبي على كوادر يهودية ذات شأن في مجمل البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الولايات المتحدة الأمريكية، والجدير ذكره هنا أن هناك ستة عشر يهوديا من أصل أربعين أغنى رجل في أمريكا، كما أن متوسط دخل اليهودي الأمريكي يعادل مثلي الدخل لباقي الأفراد، و٤٠% من جوائز نوبل التي أخذها الأمريكان في العلوم والاقتصاد هي يهودية، كما أن ٢٠% من أكبر أساتذة الجامعة، و٤٠% من أعضاء نقابات المحامين في نيويورك وواشنطن هم من اليهود.

وهذا اللوبي الصهيوني المتمثل بالمنظمة الصهيونية العالمية، والوكالة اليهودية، يضع نفسه، وعلى الملأ، في خدمة المصالح اليهودية في أي مكان، كما أنه وعلى الملأ يُعَدّ نفسه ممثلا لدولة إسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو أمر محظور بشكل عام في الولايات المتحدة، إلا أن اللوبي اليهودي لا يُتهم بالعمالة لدولة أجنبية، على اعتبار أن دولة إسرائيل لها حالة اعتبارية خاصة، بل يمكن اعتبارها في التصور الأمريكي كما لو أنها ولاية أمريكية، والقيادات السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية تدرك، أن هذه الدولة لا يمكن لها الاستمرار في تواجدها ما لم تكن، وعلى الدوام، مدعومة بالدولة العظمى، وكان قد عبّر عن هذه النقطة بول فندلي وهو الذي شغل منصب عضو كونغرس لمدة عشرين عاما {هذا الفرع الحقيقي للحكومة الإسرائيلية يشرف على الكونغرس وعلى مجلس الشيوخ، وعلى رئاسة الجمهورية، ووزراء الخارجية، وعلى البنتاغون، وكذلك على وسائل الإعلام، ويمارس تأثيره في الجامعات وفي الكنائس على حد سواء}، ويضيف في كتابه (لقد تجرؤوا على الكلام) {إن لرئيس الوزراء الإسرائيلي من التأثير في سياسة الولايات المتحدة الخارجية في الشرق الأوسط، أكثر مما له في بلاده ذاتها}، كما قال أيضا في نفس الكتاب عن اللوبي الصهيوني {كل من ينتقد سياسة إسرائيل فينبغي أن يتوقع انتقاما مؤلما ومستمرا، حتى فقدان وسائل العيش من جراء ضغوط اللوبي الإسرائيلي. الرئيس يخافه. والكونغرس يسلّم بجميع متطلباته. وأكثر الجامعات نفوذا تحرص في برامجها على أن تستبعد كل ما يعارضه: عمالقة وسائل الإعلام والقادة العسكريون يخضعون لضغوطه}.

أما الرئيس الكندي فقد قال في سنة ١٩٦١م لبن غوريون {أنا أعلم أني انتخبت بفضل أصوات اليهود الأمريكيين. أنا مدين لهم بانتخابي. قل لي ما الذي ينبغي أن أفعله للشعب اليهودي}.

وأهم المقولات التي استطاع الإعلام الصهيوني ترسيخها في ذهنية المجتمع الغربي هي:

- ادعاءات الصهيونية اليهودية التاريخية بشكل عام، وعلى وجه التحديد في فلسطين (إيرتس إسرائيل)، معتمدة على ما جاء في التوراة التي تشكل العهد القديم اليهودي، ومستفيدة من سيطرة الأسطورة التوراتية على الحالة الذهنية الغربية المسيحية، بعد أن كان اليهود قد ربطوا بين اليهودية، والمسيحية ولا سيما لدى المذهب البروتستانتي، والجناح المحافظ الأصولي لكل الطوائف المسيحية بشكل عام، كما ربطوا بين التوراة (العهد القديم)، والإنجيل (العهد الجديد) في كتاب واحد هو (الكتاب المقدس)، الأمر الذي جعل المسيحية لا تكتمل إلا بإيمان المسيحي بالتوراة، وبذلك فإن مسيحية المسيحي لا تكتمل إلا إذا آمن

بحق اليهود في أرض الميعاد، لا سيما وأن الإنجيل قد قال على لسان المسيح «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض، بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس» متى ٥.

وفي موضع آخر «فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه وانقلوه» متى ٢٣.

كما جاء في الإنجيل أن السيد المسيح قد رد على إحدى السامريات التي طلبت منه أن يوضح لها من هو الذي على صواب: السامريون الذين يُصلّون على جبل الجرزيم، أم اليهود الذين يصلّون على أورشليم، بقوله «صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للأب، أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنسجد لما نعلم، لأن الخلاص هو من اليهود» يوحنا ٤.

ومن هنا فإن المسيحيين يتلون في صلواتهم اليومية المعتقدات اليهودية بما فيها الدعوات التي ترفع إلى السماء لإعادة اليهود إلى أرض الميعاد، (خلص يا إله شعبك، وبارك ميراثك) وهي أيضا نفس الأفكار التي يقرؤها التلاميذ في مدارسهم، والتي يسمعونها بشكل متكرر في وسائل الإعلام المختلفة، وبالتالي فقد استطاع الإعلام الصهيوني أن يعزز الترابط العاطفي بغض النظر عن إيجابيته، أو سلبيته بين المسيحية الغربية، واليهودية، والتي من خلالها قام الإعلام الصهيوني بطمس التاريخ الفلسطيني الحقيقي منذ الإنسان البدائي، بكل مراحل تطوره، حيث رسخ الإعلام الصهيوني في ذهنية العالم ككل، والغربي المسيحي على وجه التحديد أن تاريخ المنطقة العربية (الهلال الخصيب)، لا بل تاريخ البشرية ككل هو تاريخ بني إسرائيل منذ سَبَت الرب في اليوم السابع، وأن أرض كنعان هي حق تاريخي للشعب اليهودي الذي وضع اللبنات الأساسية للحضارة الإنسانية، وهو، على وجه التحديد، يمثل السلف الحضاري للغرب الأوربي، وهذا ما حاول أن يؤكد عليه المؤرخ التوراتي جورج سميث حين قال {ان فلسطين لا تملك تاريخا خاصا بها، باعتبار الغرب الأوربي والأمريكي، إن تاريخها هو تاريخ إسرائيل الذي بدوره تاريخ الغرب}.

وقد استطاع الإعلام الصهيوني أن يرسّخ في ذهنية المواطن الغربي ادعاء اليهودية من أن التوراة كتابا تاريخيا، وأن الصراع العربي الصهيوني هو صراع بين الدول العربية، وبين دولة إسرائيل القومية ذات السيادة، وحول هذه النقطة كان وايزمان قد قال {إن الإنجليز، لا سيما أصحاب المدرسة القديمة، هم أشد الناس تأثرا بالتوراة، وتدّين الإنجليز هو الذي ساعدنا في تحقيق آمالنا. لأن الإنجليزي المتدّين يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب عودة اليهود إلى فلسطين. وقد قدمت الكنيسة الإنجليزية من هذه الناحية أكبر المساعدات}.

أما بن غوريون فقد قال {إن كتاب المسيحيين المقدس الذي يرجع تاريخه إلى ٣٥٠٠ سنة هو صك اليهود المقدس لملكية أرض فلسطين} ٠

وقال أيضا بعد العدوان الثلاثي على مصر {لقد نجحت إسرائيل في إقناع الأوربيين والأمريكيين الذين نشأوا على الكتاب المقدس، بحق اليهود في تقرير مصيرهم القومي في الأرض المقدسة}.

كما رسّخ الإعلام الصهيوني في ذهنية الغرب المسيحي أن اليهود هم الأصحاب الحصريون لعقيدة التوحيد السماوية، وأنه الشعب الأكثر عراقة في العالم حسب ما قاله الزعيم الصهيوني الأمريكي لويس براندیس {- اليهود - شعب عريق، شعب مكنته ثلاثة

آلاف سنة من الحضارة، من تقديم الكثير من أجل تقدّم الحضارة الإنسانية في المستقبل كما كان شأنه في الماضي}.

أما بن غوريون فقد قال قبل قيام دولة إسرائيل {ربما يكون مقدرا لمملكة يهوذا التي ستولد من جديد، أن تؤدي دورا عظيما ومهما في عالم الغد، مثلما قدّمت إسرائيل للعالم يوم كانت تعيش فوق أرضها، وربما كان مقدرا لنا أن نساهم مرة أخرى في مضمار الحضارة الإنسانية}.

وهو ما كان قد قاله ناحوم غولد مان {من الواجب أن يلتقي يهود العالم في أرض فلسطين لمتابعة إسهاماتهم في الحضارة الإنسانية التي قدّموا لها الكثير}.

أما رفائيل باتاي فقد قال في كتابه (العقل اليهودي) {ما من جماعة بشرية أخرى تستطيع الافتخار بسجل حضاري مشابه، ولو مشابهة طفيفة، لسجل الحضارة اليهودية القديمة}.

ويقول أندريه نيهر في كتابه جوهر النبوة {إن إسرائيل هي الإشارة المميزة للتاريخ الإلهي في العالم. إن إسرائيل هي محور العالم، وهي عصبه، ومركزه، وقلبه}.

وتقول الكاتبة اليهودية تروي فاليس روز مارين {إن المساهمة الخالدة الباقية التي قدمها اليهود للعالم هي اكتشافهم الله الواحد الفريد غير المتجسد، وقد جاءت المسيحية، ثم الإسلام بعد ذلك فعدلت كل منهما من فكرة اليهودية عن الله تعديلا جعل الفكرة أكثر ملائمة لمن كانت وحدانية اليهودية بالنسبة لهم أدق وأكمل من أن تستوعب، وقد كان من أثر ذلك صيغت حضارة الغرب في صورة جديدة تماما}.

وبذلك استطاع الإعلام الصهيوني أن يقنع الغرب المسيحي المسيطر أن لليهود حالة خاصة استثنائية في القانون العالمي والإنساني لأنهم لا يمثلون بشراً عاديين، بل حالة لاهوتية للإنسانية ككل بصفتهم أصحاب (المعجزة اليهودية)، وعلى الجميع أن يتعاملوا معهم على أنهم يمتلكون قدسية إلهية فوق بشرية، وهذا يعطيهم الحق في أن يكونوا فوق القوانين التي سنتها الهيئات، والمنظمات الاجتماعية، والدولية، والعالمية.

وقد كانت اليهودية، ومن بعدها الصهيونية، بعد استلامها زمام الأمور بالنسبة للتمثيل السياسي لليهود، قد استطاعت أن تغيّر من الموقف الكلاسيكي للكنيسة الرسمية التي كانت تنظر إلى اليهود على أنهم من قتلوا المسيح، بل وأن البابا منح اليهود صك غفران، على الرغم من ما جاء في إنجيل متى، فبعد أن سلّم اليهود المسيحَ الناصري إلى السلطة الرومانية «قال لهم بيلاطس فماذا افعل بيسوع الذي يدعى المسيح. قال له الجميع ليصلب. فقال الوالي وأيّ شر عمل. فكانوا يزدادون صراخا قائلين ليصلب. فلما رأى بيلاطس انه لا ينفع شيئا بل بالحري يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا إني بريء من دم هذا البار. ابصروا انتم. فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا» متى ٢٧.

وكان مجلس الكنائس العالمي قد أصدر سنة ١٩٦١م بيانا قال فيه: {العداء للسامية خطيئة ضد الله، ضد السامية، علينا في التعليم المسيحي ألا نلقي الأحداث التاريخية التي أدت إلى صلب المسيح على عاتق الشعب اليهودي، فالمسؤولية تقع على إنسانيتنا المشتركة، وليست محصورة في جماعة معينة أو قوم، وقد أيد هذا القول قرار الفاتيكان في عام ١٩٦٥م}.

أما البابا يوحنا بولس الثاني فقد قال سنة ١٩٩٧ {إن المسيح كان يهوديا.. وكان.. ابنا حقيقيا لإسرائيل - ولذلك يجب ألا - يضطهد اليهود، أو تساء معاملتهم بوصفهم يهودا}.

كما أن الصهيونية تمكّنت من الهيمنة على البعثات الاستكشافية الآثارية، والدراسات الاستشراقية الغربية منذ تشكلت (منظمة اكتشاف فلسطين) سنة ١٨٦٥م للبحث عن إسرائيل التوراتية، كما أنها تغلغلت في الدراسات الاستشراقية الأوربية، والتي حاولت أن تشكل رسالة تبشيرية للمشروع الثقافي الغربي، والسبب في اندخال المشروع الصهيوني، ضمن المشروع الأوربي الاستشراقي، يعود إلى أن اليهودية صاغت نظريتها القومية بتأثير القومية الأوربية من جهة، ومن جهة ثانية لم يستطع هذا المشروع الصهيوني القومي ببعده الثقافي من الانزراع في المنطقة العربية، على الرغم من كل محاولات تطبيعه، ولذا فقد بقي هذا المشروع على ارتباط مع أوربا الغربية على وجه الخصوص، على أمل تقبّل أو إخضاع المنطقة للمشروع الصهيوني في مرحلة لاحقة، وبذلك فقد اتخذ المشروع الصهيوني ببعده الثقافي موقعا علائقيا، فيه إنتمائية سياسية واقتصادية وثقافية مع أوربا، وبما أن الاستشراق الغربي كان يبحث في الفكر الشرقي من خلال الثقافة الغربية ذات الدين المسيحي الوريث، والمتطور عن الدين اليهودي، فقد استطاعت الصهيونية في مرحلة لاحقة أن تُدخل ضمنه خطابها الثقافي السياسي، بحيث أصبح الاستشراق مشروعا غربيا مسيحيا يهوديا، للحديث والتحادث مع الفكر الشرقي الإسلامي التاريخي بلسان ومنطق غربي يهودي صهيوني، بل إن الصهيونية من جهة، والمشروع الاستشراقي من جهة أخرى كانا يريان أنه الممكن توظيف اليهود كمبشرين برسالة الحضارة الغربية، في العالم الشرقي المتخلف، بل إن البعض من المستشرقين، والمفكرين الغربيين اعتبروا الصهيونية حملة صليبية تبشيرية تنويرية في عالم شرقي يعاني من عتمة الفكر، والعقيدة الإسلامية.

وهذا المشروع الاستشراقي، وعلى الرغم من كل ما قُدّم له من إمكانات مادية، لم يستطع أن يحقق أهدافه، إلا أن الغرب، وبدعم من الصهيونية حاول تغريب المجتمع الشرقي من خلال تمكين الفلسفة الغربية، وإحلال قيمها مكان القيم الشرقية، وجعل العلم أساس ودين المجتمع المدني، وإقصاء القيم الروحية الدينية الشرقية، وفصل الدين عن الدنيا، وتجزئة المنطقة سياسيا، وجغرافيا، ودينيا وطائفيا، وعرقيا، وقد حاول الإعلام الصهيوني، وبالتعاون مع المطامع الاستعمارية الإمبريالية، أن يغيّر المسميات والتعابير الشائعة التي تعبر عن الوحدة القومية، والجغرافية، والإقليمية للوطن العربي، بحيث تحول الوطن العربي إلى الشرق الأوسط وشمال أفريقية، وأصبح يضم عروق، وأثنيات، ودول مختلفة في محاولة لدس الوجود اليهودي الإسرائيلي في التعابير، والمسميات الجغرافية، كما جعل الإعلام الصهيوني من كل بلد عربي مجموعة من الطوائف الدينية المختلفة، والعروق المختلفة، وبدت الدول العربية، حسب الإعلام الصهيوني، كما لو أنها تشكيل فسيفسائي.

كما حاول الإعلام الصهيوني، وبالتعاون مع التصورات الإمبريالية، ان يقلب المفاهيم والمدلولات العامة، بحيث أصبحت المقامة الشعبية للاحتلال تعني الإرهاب، أما الإرهاب الدولي واحتلال الدول ذات السيادة، كما حدث في العراق، فيعني التحرير، كما أنه قلب الحقائق رأسا على عقب، وجعل من الضحية (الشعب العربي الفلسطيني) جلادا، وجعل من الجلاد (الصهيوني) ضحية، وحجبت الحقيقة عن أعين الرأي العام العالمي، الذي كان من جانب آخر قد قام بتسكين، وتخدير ضميره، وفي هذا السياق يقول المؤرخ الشهير توينبي {لو أن أي شعب آخر غير العرب ذاق مرارة هذه المعاملة، وعلى أيدي أي شعب

آخر غير الإسرائيليين، لأدرك العالم كله أن هناك ظلما فادحا جرى ارتكابه بحق ضحايا لم يقترفوا شيئا يستحقون عليه مثل هذا العقاب، ولكان من شأن هذا الانتهاك الصارخ للحقوق الإنسانية ألا يثير السخط والاحتجاج فحسب، بل يؤدي إلى اتخاذ الخطوات الفعالة لإزالة الظلم ورفع الغبن}.

وقد تزايد عدد المتنورين من المسيحيين الغربيين، ومن اليهود الذين هاجروا، واستوطنوا في فلسطين، أو لم يهاجروا، الذين أدركوا أن هناك الكثير من التصورات الخاطئة، والمظللة، والمزيفة التي حملتهم إياها وسائل الإعلام الصهيونية، وقد بدأت أصوات هؤلاء المتنورين تتردد هنا وهناك، وبدت هذه الجماعات تعلن بأعلى صوتها معاداتها للصهيونية، ووقوفها إلى جانب الشعب الفلسطيني الذي، على عكس ما كان يصوره الإعلام الصهيوني، كان ضحية لأبشع أنواع الظلم، والحيف، وقد انضم هؤلاء إلى بعض الجماعات الدينية اللاهوتية التي وقفت ضد الصهيونية على اعتبارها منظمة سياسية، لا دينية، نصّبت نفسها مكان المسيح التوراتي اليهودي المنتظر، بل إن بعض المذاهب اليهودية الأرثوذكسية المتطرفة، كانت ترى أن الصهيونية تعمل ضد الرب، وضد مسرحة التاريخ الإلهي على الأرض، لأن عودة اليهود إلى (أرض الميعاد) مرتبطة بمجيء المسيح اليهودي المنتظر، وعودة اليهود دون ذلك سيؤدي إلى إرباك حركة التاريخ الديني كما وضع الرب السيناريو المحدد له.

وأعداء الصهيونية برزوا منذ تشكل الصهيونية، ومن ثم تناقصوا بعد أن استطاعت الصهيونية أن تثبت وجودها السياسي، ومن ثم الجغرافي، ولكن هؤلاء الأعداء بدؤوا بالتزايد مرة أخرى بعد أن بدأت الحقائق تتكشف للكثير من الأفراد والجماعات، وكان هناك الكثير من الشخصيات اليهودية بالخاصة، وغير اليهودية بالعامة، التي وقفت ضد المشاريع الاستيطانية الصهيونية، ومن هذه الشخصيات العالم الفيزيائي الشهير إينشتاين، ومارتن بوبر، ويهوذا ماغنيس الذي قال سنة ١٩٢٤م {إن ما يقلقني هو غياب كل اقتراح بناء حول الطريقة التي يمكن بها إيجاد حل للمشكلة من دون حرب بين الشعبين.. لا شك أن لليهود الحق بمطالبة العالم بالعدالة.. ولكني أنا، لست على استعداد لأن أعيد لليهود حقهم بعمل غير عادل تجاه العرب بوضعهم تحت سلطة القانون اليهودي دون موافقتهم. فإذا كنت أعارض قيام دولة يهودية فذلك لأني كما قلت لا أود أن أخوض حربا مع العالم العربي} ويضيف {هل يصبح اليهود هنا (في فلسطين) في سعيهم لخلق كيان سياسي مرتبطين بالعنف والعسكرتاريا كما كان بعض الأشمونيين؟ يبدو لي أننا فكّرنا بكل شيء ما عدا العرب}.

أما مارتن بوبر فقد كان قد قال {لا تستطيع قوة غير قوة ثورة داخلية، أن تشفي شعبنا من مرضه القاتل المتمثل في كراهية الأغيار، فحين تقوم هذه الثورة يدرك شبابنا مدى الظلم والشقاء اللذين ألحقناهما بالفلسطينيين العرب البؤساء، الذين شردناهم، وأعطينا بيوتهم وأراضيهم إلى يهود جاؤوا من شتى بقاع الأرض، واليوم نحرث حقولهم ونقطف ثمار بساتينهم ونقيم في مدنهم، ومع هذا لا نكف عن الثرثرة بتشنج وهذيان بأننا شعب التوراة ونور الشعوب}.

أما الحاخام يهودا ماغنيس فقد قال {لا أريد قيام دولة يهودية، وليس من العدل إخضاع الفلسطينيين العرب للحكم اليهودي بالإكراه.. إن أرض فلسطين هي للفلسطينيين،

وإن اليهود غرباء فيها، فالحق يقضي، وأبسط مبادئ العدالة الإنسانية يوجب بألا يمنع الفلسطينيون المشردون من العودة إلى ديارهم، بينما تتدفق سيول من اليهود الغرباء على فلسطين ليحلوا محل من تقتلع جذورهم العريقة فيها منذ قرون عديدة}.

كما أن الحاخام الأكبر في العراق خضوري ساسون قد قال مشخصا العلاقة والتعايش العربي اليهودي في العراق قبل قيام الدولة الصهيونية، حيث كان يعيش في العراق سنة ١٩٤٨م بحدود ١١٠٠٠٠ يهودي {إن اليهود والعرب تمتعوا بنفس الحقوق والامتيازات، منذ ألف سنة. ولهذا فهم لا يرون أنفسهم منفصلين عن غيرهم في هذه الأمة}.

obeikandl.com

مقولات الإعلام الصهيونية
حول الحقوق التاريخية اليهودية في فلسطين

لم تقم دولة إسرائيل على أرض الواقع، إلا على الادعاءات التي جاءت في التوراة، وقد قدمت الصهيونية التوراة على أنها وثيقة تاريخية، ذات مصداقية قانونية، وفي غير موضع كنت قد استشهدت بالنصوص التوراتية التي جاء فيها أن الرب يهوه قد أعطى شعبه المختار الحق الأبدي في استملاك بلاد كنعان، وتشكيل كيان سياسي عليها، وقد بدأت الدعوات في إعادة تشكيل هذا الكيان بذهنية شعرية، رومانسية، ذاتية، في محيط الألفية الأولى للميلاد، ثم تحولت إلى دعوات حقوقية موضوعية، في سياق الاضطهاد الأوربي لليهود، وإن كانت تلك الدعوات قليلة، ومتباعدة، ثم تصعّدت على لسان الصهيونية غير اليهودية في أوربا في سياق تطورها الإمبريالي، ثم أخذ اليهود بترديدها بشكل متصاعد في سياق بدايات تشكل الصهيونية اليهودية، ومنها دعوة موسى هس {ولكي يتسنى لهم - أي لليهود - أداء رسالتهم وجب أن يعيدوا بناء حياتهم القومية بفلسطين، فيكتشفون أنفسهم من جديد كشعب، ويقدمون للعالم قدوة من ذلك الاستشراق التركيبي، لذا فإن تطوير حركة قومية يهودية لا يشكل المفتاح الجوهري لمستقبل اليهود فحسب، بل لمستقبل البشرية جمعاء}.

ومن ثم قامت الصهيونية والتي، حسب بن غوريون {لم تبدأ بهرتزل ومؤتمر بال، ولا بوعد بلفور، ولا بقرارات الأمم المتحدة عام ١٩٤٨، ولكنها بدأت يوم وعد الله أبانا إبراهيم بأرض فلسطين ملكا أبديا}، لتعيد تشكيل الماضي على أرض الحاضر الواقع، يقول أحادها عام {لكي ينبعث هذا العرق المتفوق لا بد له من مكان ثابت ومستقر حتى تتاح له الفرصة ثانية لتطوير عبقريته، وإبلاغ رسالته كاملة متفوقة}.

بن غوريون {إن لليهودي أينما كان حقا مقدسا بالعودة إلى وطنه القديم، أرض إسرائيل، هذا الحق الذي يرتبط ارتباطا وثيقا، ومن غير انقطاع، بتاريخه وبتراث أجداده}.

وحق اليهود بالعودة إلى أرض الميعاد يعتمد على الحق الديني التوراتي المتغلغل في حلم اليهود بالعودة، يقول بن غوريون {إن ما يربط اليهود ليس الدين اليهودي، فاليهود الملحدون يهود أيضا، وليس العرق، فهم ليسوا من عرق واحد، وليس اللغة، فهم يجهلونها، ولكن رؤيا العودة إلى أرض الميعاد}، وبن غوريون في هذا يمثل قناعة الأغلبية الصهيونية التي ترى أن اليهود لا يشكلون عرقاً دموياً صافياً بالمعنى الحرفي الفقهي لهذه الكلمة، وأينما يُعَدّون عرقا (تكاثريا).

وحق العودة الذي تحدث عنه بن غوريون، يعتمد على التصور الديني لليهود، على حسب رأي البروفسور الإسرائيلي يعقوب تالمون {إن الحق اليهودي التاريخي بفلسطين يفتقر إلى أساس ثابت في ما لو تمّ إقصاء مسألة الإيمان بالوعد الإلهي، وفكرة الشعب الذي

اختاره الرب واصطفاه. مما يؤدي حتما إلى إظهار اليهود بمظهر الغزاة الفاتحين والإمبرياليين}.

أما غولدا مائير فتقول {لقد وجدت هذه البلاد تنفيذا لوعد صدر عن الرب بالذات، ومن السخف أن نسأله بيانات عن شرعية ذلك}.

والصهيونية وليدة الإمبريالية كانت ترى أنه يتوجب عليها، أو لها الحق حسب النظرية الداروينية النيتشية أن تقوم بأخذ نصيبها من الأرض عنوة، وانتزاع ثرواتها من الشعوب الدنيا (المدنسة) الذين لا يعرفون قيمة الأرض التي يقيمون عليها، ولا يعرفون أيضا استثمارها، ولا يرتبطون معها برباط روحي، ويقول في هذا الصدد الحاخام تسفي يهودا كوك الأب الروحي لغوش إيمونيم (١٨٩١ - ١٩٨٢م) {لقد اختيرت الأرض من قبل ما اختير الشعب نفسه، فالأرض المصطفاة والشعب المختار يكونان وحدة إلهية كاملة، قد ضم بعضها إلى بعض عند خلق العالم وخلق التاريخ}.

أما الحاخام ميمون أول وزير للشؤون الدينية في دولة إسرائيل فيقول {إن الرباط بين إسرائيل وبين أرضها ليس كالرباط الذي يشد الأمم سائرها إلى بلادها، فهو لدى تلك الأمم، وفي أجلى مظاهره، رباط سياسي، علماني، خارجي، عرضي ومؤقت، بينما الرباط القائم بين الشعب اليهودي وبين بلاده كناية عن سر خفي من القداسة، فالشعب والأرض قد أنعم عليهما بتاج القداسة، والرباط الذي يشدهما رباط سماوي وأبدي}، ولذا كان لا بد من ترحيل هذه الشعوب العربية العابرة بالقوة، والعنف، وإحلال مكانهم الشعب اليهودي الأبدي المقدس.

وكنت قد ذكرت فيما سبق أن الكثير من القيادات الدينية اليهودية ترى أن الصهيونية شكل زائف لليهودية التي لا تقوم على العنف والعدوان، بل على الإيمان بالرب الذي هو وحده من سيحرك التاريخ نحو مجيء المسيح المنتظر ليعلن يوم الرب، ويحكم مملكة الأرض بالعدل، ومن هنا فقد حرّمت تلك القيادات الدينية الأصولية الأرثوذكسية على أتباعها العودة إلى أرض الميعاد قبل مجيء المسيح اليهودي، وتعتقد هذه الأصولية أن الصهيونية ليست أكثر من هرطقة ستنتهي بالفشل.

وهو ما يخالف رأي الكثير من المتدينيين اليهود الذين كانوا قد تتلمذوا على ثقافة العنف الأوربية النيتشوية في سياق الحربين العالميتين الأولى والثانية، وهم الذين يرون أن العنف اليهودي يشكل الرحم الذي يولد فيه اليهودي المقدس الذي يستطيع امتلاك الأرض المقدسة من أجل تجسيد التاريخ المقدس عليها، وأن العنف ضد الآخرين، وإذكاء نار العداء مع الأغيار (إذكاء نار اللاسامية) هو الذي يجعل الشتات اليهودي يتكوكب، وينتظم في جبهة واحدة، يمكنها العودة إلى الأرض المقدسة، وانتزاع الأرض من ساكنيها، والتمترس فيها إلى الأبد، وكان هرتزل مؤسس الصهيونية قد همش في مشروعه الصهيوني أصحاب الأرض الأصليين في كتابه (دولة اليهود)، وفي خطابه في المؤتمر الصهيوني الأول، إلى درجة أنه لم يأت على ذكرهم، وكأن لا وجود لهم على الإطلاق، كما أن سكان الأرض الأصليين لم يأت أي ذكر لهم في سياق توقيع العقد الصامت بين الصهيونية، والفكر الاستعماري الغربي، وكان هرتزل يتحدث عن الهجرة اليهودية من أوربا إلى فلسطين، كما لو أنها (أرض بلا شعب)، وكان يرى أن هذه الهجرة، وهي التي أطلق عليها الخروج، معيدا إلى الأذهان خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى:

{يجب ألا يأخذ الخروج شكل هروب أو تسلل، وإنما يجب أن يتم بمراقبة الرأي العام. هذا ويجب أن تتم الهجرة وفقا للقوانين وبمعاونة صادقة من الحكومات المعنية التي يجب أن تضمن وجودنا لأن اليهود لا يمكنهم أن يفعلوا ذلك بأنفسهم}.

{متى أظهرت القوى الدولية رغبة في منحنا السلطة فوق أرض محايدة ستعمل جمعية اليهود مع السلطات الموجودة في تلك الأراضي وتحت إشراف القوى الأوربية}.

ولكنه، ومن خلال إشارات غامضة، نوه على إمكانية اليهود في السيطرة على الأرض الموعودة بالقوة {امنحونا سلطة على قطعة من الأرض في هذا العالم تكفي حاجاتنا القومية المشروعة، ونحن سنعمل ما يتبقى}.

{إن الإنسان مهما بلغ من الثراء غير قادر على اقتلاع شعب من أرضه، القوة وحدها تستطيع أن تفعل ذلك وفكرة الدولة تمتلك بالتأكيد هذه القوة}.

أما بالنسبة للقيادات الصهيونية التي عاصرت هذه الهجرة، والتي واجهت أصحاب الأرض، فقد أوضح خطابها عدم إمكانية تحقق المشروع الصهيوني دون العنف، العنف الذي يذكرنا بما أتى في سفر يشوع الذي يشكل تأريخا توراتيا لاستيلاء الجماعات العبرية على أرض كنعان في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وكان اليساري الصهيوني بوروخوف قد أكد أن دولة إسرائيل لن تتشكل {من دون نضال مرير ومن دون قسوة وظلم ومن دون معاناة البريء والمذنب على حد سواء.. وأن تاريخ الاستيطان الصهيوني سيكتب بالعرق والدموع والدم}.

أما بيردشفسكي فيقول إن {السيف تجسيد للحياة في أعرض خطوطها، وهو تجسيد جوهري ومحسوس يشبه الحياة إلى حد كبير}.

وكان من إحدى المقولات أو المنطلقات النظرية لمنظمة الهاشومير التي تأسست في بداية القرن المنصرم {لقد سقطت يهودا بالدم والنار وستنهض بالطريقة نفسها}.

أما مناحيم بيجن فيقول {سوف تعود أرض إسرائيل إلى شعب إسرائيل بكاملها وإلى الأبد}.

ويضيف {إن قوة التقدم في تاريخ العالم ليست للسلام بل للسيف}، والذي كان قد كتب في كتابه الثورة {أنا أحارب، إذن أنا موجود}.

كما أن بن غوريون كان يرى أن من يفسر التوراة هو الجيش الإسرائيلي.

أما الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلي شلومو غورين يقول {لا يمكن الفصل بين أرض إسرائيل وبين تعاليم اليهودية، إن حدود أرض إسرائيل قد حددت في التوراة، وفصل قيم التوراة عن وصايا استيطان البلد هو بمثابة فصل الروح عن الجسد}.

ويقول حانان بورات، وهو أحد زعماء غوش إيمونيم {لا عيب خلقيا في إعلاننا على الملأ أن أرض إسرائيل هي أرض الشعب اليهودي بأمر من الله منقوش في الحديد والدم}.

ويقول الحاخام مائير كاهانا {لا يمكن التمييز بين الدولة والتوراة لأن دولة إسرائيل لم تقم بفضل قرارات الأمم المتحدة، بل بفضل التوراة}.

ويقول في موقع آخر {إن أبانا إبراهيم لديه صك من الله العلي ممهور بتوقيعه، فأين هو برهان ملكيتهم لهذه الأرض}.

وهو ما كان قد قاله أيضا بن غوريون {إن كتاب المسيحيين المقدس الذي يرجع تاريخه إلى ٣٥٠٠ سنة هو صك اليهود المقدس لملكية أرض فلسطين} ٠

أما كالن الفيلسوف البرغماتي اليهودي فيقول {إن شعب إسرائيل هو جيش إسرائيل، وجيش إسرائيل هو شعبها، وهذا ليس بالمعنى المجازي وإنما هو معنى حرفي، فالجيش الإسرائيلي هو المدرسة التي يتعلم فيها الجميع}.

أما ناحوم غولدمان فيقول {إن التمييز العنصري في إسرائيل ضد العرب هو من الضرورة التي لا يمكن تلافيها.. وعليه فلا بد أن يلقى العرب أعمال القتل والاعتقال والتعذيب والطرد من أجل إجبارهم على الهجرة خارج فلسطين}.

وفي هذا الصدد يقول مناحيم بيغن في سنة ١٩٥٨م {أنتم الإسرائيليون عليكم ألا تأخذكم الرأفة عندما تظفرون بعدوكم. عليكم ألا ترحموا، حتى تدمروا نهائيا ما يسمى بالثقافة العربية التي سوف نبني على أنقاضها حضارتنا نحن}.

وكان بن غوريون قد وصف بيغن قائلا {إن بيغن ينتسب بالتأكيد إلى النموذج الهتلري. إن هذا الرجل مستعد للقضاء على العرب جميعا في تحقيقه حلمه في توحيد إسرائيل. وهو مستعد، لهذا السبب، لاستخدام كل الوسائل}.

ويقول الحاخام أليعازر فالدمان {لا بد من توقع الحروب، واعتبارها جزءا طبيعيا ومؤسفا من عملية الخلاص، ومن المؤسف أن الخلاص لا يتم بأي طريقة أخرى غير الحرب}.

أما بن صهيون دينور أول وزير للثقافة في دولة إسرائيل فقد كتب سنة ١٩٤٠ {يجب أن يكون واضحا لنا جميعا أنه لا مكان في هذا البلد لشعبين. إذا غادره العرب سيكون كافيا لنا.. ليس هناك طريقة إلا بإبعادهم جميعا، وعدم ترك قرية أو قبيلة واحدة.. يجب أن نوضح لرزفلت ولرؤساء الدول الصديقة كافة بأن أرض إسرائيل ليست صغيرة جدا إذا غادرها جميع العرب، وإذا ما دفعت الحدود قليلا نحو الشمال أي حتى نهر الليطاني ثم نحو الشرق إلى مرتفعات الجولان}.

كما قال أيضا {لا مكان في بلدنا إلا لليهود. سنقول للعرب: ارحلوا. وإذا لم يوافقوا على ذلك، وأبدوا مقاومة فسنطردهم بالقوة}.

كما قال بعد حرب حزيران سنة ١٩٦٧م جوزيف ونتز مدير إدارة الهجرة {من الواضح أنه لا مكان في هذا البلد للشعبين، الحل الوحيد هو أرض إسرائيل وتشمل على الأقل إسرائيل الغربية وتكون خالية من العرب، ولا حل إلا بنقل السكان العرب إلى البلاد العربية المجاورة}.

ولم توجه الصهيونية عنفها إلى الشعب الفلسطيني الذي يجب التخلص منه، بتهجيره، أو بإبادة من يرفض الهجرة فحسب، بل شمل أيضا اليهود، ولا سيما الذين يعيشون في الدول العربية، وكانت الصهيونية تمارس نشاطها في الدول العربية، وتدرب بعض الشباب اليهود عسكريا، كما استغل الصهاينة السكان اليهود الذين كانوا يعيشون في الدول العربية في عمليات تجسس على بلدانهم، كما أنهم قاموا بعدة عمليات لمصلحة الصهيونية كما حصل في فضيحة لافون سنة ١٩٥٥م، حيث قامت مجموعة من اليهود المصريين بتعليمات صهيونية بوضع متفجرات في بعض المواقع والمنشآت التابعة للولايات المتحدة والمملكة المتحدة لخلق التوتر بينها وبين مصر، كما أن الصهيونية منذ بداية القرن المنصرم قد عملت على إثارة الفتنة بين الجماعات اليهودية في العراق، والتي كانت تعد قرابة ١٣٠ ألف يهودي، والمجتمع والقيادة العراقية، وكان بن غوريون قد اتفق مع نوري السعيد سنة

١٩٤٩م، بحضور الراعي البريطاني، على إسقاط الجنسية العراقية عن اليهود العراقيين، وقد شكلت الصهيونية تنظيمات سرية في العراق، وهرّبت إليهم الأسلحة، حيث قامت منظمة (هشوراه الصهيونية) بتفجير عدة أماكن للتجمعات اليهودية في العراق مثل المقاهي والمعابد سنة ١٩٥٠م من أجل إثارة الذعر لدى الجماعات اليهودية، وحثهم على الهجرة إلى إسرائيل، والتي سميت (عملية علي بابا).

كما أن الخطاب الصهيوني العنيف شمل كل من وقف من اليهود، وغير اليهود، في وجه المشروع الصهيوني الاستيطاني، والذين كانوا يعتقدون أن الحل الأمثل للمسألة اليهودية يكون من خلال اندماج اليهود في المجتمعات الغربية، وهو الأمر الذي أدى إلى تقاعس بعض اليهود من الهجرة إلى فلسطين، بدعم من بعض المتنفذين الأوربيين الذين لم يقتنعوا كثيرا بالحل الصهيوني، والذين حاولوا دمج اليهود كمرحلة أولى للوصول إلى صهرهم في مجتمعاتهم، ومنحتهم الجنسيات الأوربية، ولم تتورع القيادة الصهيونية في تحدي هذه السياسات، وفي هذا السياق قال حاييم وايزمان سنة ١٩٢٠م موجها خطابا تهديديا {سوف نستقر هنا في فلسطين شئتم ذلك أم أبيتم. إن كل ما تستطيعون فعله هو تعجيل أو إبطاء هجرتنا ولكنه مهما يكن فإنه من الأفضل لكم أن تساعدونا لتتجنبوا تحويل قدراتنا البناءة إلى قدرات مدمرة، تدمر العالم}.

وقد حاولت الصهيونية بشتى السبل أن تستورد المادة البشرية، والتي تكفل لها أن تقيم من خلالهم دولة صهيونية، وفي هذا السياق جاء في الأدبيات الصهيونية {إننا نجد أنفسنا مضطرين لسحب كل مهاجر إلى إسرائيل وكأنه (بغل حرون)}.

أما الحاخام كلاوسنر فيقول {يجب أن نتذكر بأننا بصدد أناس مرضى. وعلينا بالتالي ألا نأخذ رأيهم، وإنما نقول لهم ماذا عليهم أن يفعلوا. وسيكونون لنا من الشاكرين بعد عدة سنوات}.

والعنف الخطابي الصهيوني لم يقف أما هذا فحسب بل تفشى في كل أشكال التعبير عن المواقف الصهيونية، وكان إسحاق شامير سنة ١٩٧٥م قد قال، بعيد صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي أقر فيه أن الصهيونية نوع من العنصرية {من غير المقبول أن تقوم أمم مؤلفة من رجال هبطوا لتوهم من على الأشجار، وتُعَدّ نفسها في مصاف الزعامة الدولية.. كيف يمكن للشعوب البدائية أن تعبر عن آراء خاصة بها؟ إن الضربة التي تلقيناها اليوم من هيئة الأمم المتحدة تزيد من قناعاتنا بأننا لسنا شعبا كباقي الشعوب} وهذا الرد العنصري الصهيوني اليهودي يؤكد على صحة قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، والغريب أن شامير الذي يعتمد على عقيدة شعب الله المختار اللاهوتية، يعتمد، في خطابه هذا، على نظرية داروين المادية التي تذهب إلى أن الإنسان نتج عن تطور القرد، والتي تتعارض مع اللاهوت اليهودي بالخاصة، واللاهوت الديني بالعامة والذي يذهب إلى أن آدم هبط من الجنة في شكله الإنساني الكامل.

وقد استطاعت الصهيونية، بالعنف، أن تغتصب الأرض من أصحابها، وأن تنشئ دولة إسرائيل الصهيونية، وقد جاء في (إعلان الاستقلال): {لقد كانت أرض إسرائيل هي مسقط رأس الشعب اليهودي. هنا تشكلت هويتهم الروحية والدينية والقومية، وهنا حققوا الاستقلال وخلقوا ثقافة ذات أهمية قومية وعالمية، هنا كتبوا وقدموا التوراة للدنيا.. وقد ظل الشعب اليهودي بعد نفيه من أرض إسرائيل متعلقا بها في بلدان شتاتهم كافة دون توقف عن

الصلاة والأمل بالعودة واستعادة حريتهم القومية واليهود وهم محملون بهذا العبء التاريخي كانوا يكافحون عبر القرون من أجل العودة إلى أرض آبائهم، واستعادة تشكلهم الكياني}

كتب بن غوريون في مذكراته يوم ٢١ أيار ١٩٤٨م {إن عقب أخيل في الحلف العربي هو لبنان. إن الأكثرية الإسلامية في هذا البلد هي مصطنعة وبالإمكان قلبها بسهولة ويجب إقامة دولة مسيحية فيه. وتكون حدودها الجنوبية على نهر الليطاني، وسنوقع معاهدة تحالف مع هذه الدولة. ثم بعد أن نحطم قوى الفيلق العربي ونقصف عمان سنمسح الأردن فتسقط سوريا. وإذا ما تجرأت مصر على محاربتنا من جديد سنقصف بور سعيد والإسكندرية والقاهرة.. وننهي بذلك الحرب بعد أن نكون قد انتقمنا لأجدادنا من مصر وآشور وكلدة}.

أما شارون فقد قال سنة ١٩٧٤م مهددا الثوار الفلسطينيين الذين كان يسميهم (الإرهابيين) {يجب أن نضرب ونضرب باستمرار. يجب أن نضرب الإرهابيين في كل مكان، في إسرائيل والبلاد العربية وسواها. أنا أعرف كيف يتم ذلك، فلقد مارسته شخصيا. وليس من الضروري أن نتحرك إثر عمليات يقومون بها، بل علينا أن نقوم بذلك يوميا وفي كل مكان. فإذا ما وردتنا معلومات عن وجود بعضهم في هذا أو ذاك من البلاد العربية أو الأوربية علينا أن نصل إليهم هناك.. لا في وضح النهار، بل فجأة يختفي شخص ما، ثم تجدونه مقتولا في حين يقتل آخر في أحد الملاهي الأوربية}.

وقد قامت الحكومة الصهيونية الإسرائيلية بسن قانون العودة سنة ١٩٥٠م، والذي علق عليه بن غوريون قائلا {إن الدولة لا تنوي بهذا المشروع أن تمنح اليهود حق المجيء إلى إسرائيل حيث إن هذا حق متوارث لليهود. ولكن مشروع القانون ما هو إلا عهد من إسرائيل إلى أولئك اليهود.. إن هذه ليست دولة يهودية فقط حيث أغلبية السكان من اليهود ولكنها دولة جميع اليهود حيثما وجدوا ولكل يهودي يرغب بالمجيء إلى هنا. إن هذا الحق موروث لمجرد كونه يهوديا}.

كما قال بن غوريون بعيد إعلان دولة إسرائيل {إن إسرائيل ليست دولة يهودية لأن اليهود يشكلون الأكثرية فيها، بل هي دولة اليهود حيثما وجدوا، ودولة كل يهودي يرغب الإقامة فيها}.

أما في سنة ١٩٤٩م فقال بن غوريون {ليس هناك اليوم إلا ٩٠٠٠٠٠ يهودي في إسرائيل، على حين أن أكثرية الشعب ما زالت خارج بلادها. ومهمتنا للمستقبل هي أن نعيد اليهود إلى إسرائيل}.

وهنا لنا أن نلاحظ أن إعلان الاستقلال، وقانون العودة يعطي الحق في تملك الأرض على أساس الأسبقية التاريخية، ولذلك مسبقا، وقبل أن يتنطع أحد بالحديث عن الأسبقية التاريخية للفلسطينيين العرب، قامت الصهيونية بعزلهم تاريخيا وإرثيا عن الكنعانيين أصحاب الأرض في مرحلة ما قبل الغزو العبري في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وذلك من خلال ادعاء التوراة بأن اليهود قاموا بإبادة أو إمحاء كل الشعوب الوطنية التي تواجدت في بلاد كنعان في ذلك الزمان، وبذلك يبقى الشعب العبري اليهودي هو الوريث الشرعي، والوحيد لأرض فلسطين، وعلى أقل تقدير بحجة أنهم - كما يدّعون - أول من أسس كياناً عسكرياً سياسياً وطنياً مستقلاً ذا شخصية قومية، وهذا يعطيهم، حصرا، الحق في الأسبقية

التاريخية، يقول اسحق دوتشير {في إسرائيل، شكل أقدم شعب في العالم أحدث دولة بين الدول القومية، وهو يرمي بكل حرارة عواطفه إلى استدراك الزمن الذي فات}.

وهذه الدولة، التي كانت قد تأسست نظريا على أساس الوعد الإلهي التوراتي، أصبحت دولة بقوة القانون الدولي، والتقادم، والأمر الواقع، وبالتالي لا يمكن إزالتها إلا بإبادتها، وما عاد اليهود يعتمدون، في ادعاءاتهم التاريخية في فلسطين، على أساس الوعد الإلهي التوراتي، إلا حين يتحدثون عن حدود هذه الدولة، بل إن اليهود ما عادوا يهتمون بحقيقية ومرجعية وقدسية التوراة السماوية، فالتوراة مقدسة حتى لو ثبت أنها نتاج أقلام، وأفكار، وتصورات إنسانية، ولم تهبط من السماء، وسواء كانت قد ابتدعتها اليهودية، أم أن اليهودية قامت بسرقتها، وتهويدها من تراث شعوب الشرق الأدنى، وسواء ثبتت صحة ادعاءاتها التاريخية، أم لم تثبت، فهذه المحاججات لم يعد لها الكثير من المعنى، فالتوراة هي تراث الشعب اليهودي، وجزءا من وجدان وضمير الشعب اليهودي، وهي عاصمة روحية لكل اليهود، وفي هذا السياق جاء في كتاب (من هو اليهودي) لإسحق دوتشير {كتب هنري هايني أن اليهود الذين طردوا من أرضهم تركوا كل ثرواتهم لكي لا يحملوا معهم سوى كنز واحد هو الكتاب، ثم قام هذا - الشعب الشبح - خلال قرن بحراسة هذا الكتاب، الكتاب المقدس، حافظا إياه للإنسانية، والآن يتجسد هذا الشبح ويعود فيصبح أمة، ويعود إلى شواطئ الأردن وجبال اليهودية وفي متاعه كل الكتب الكبيرة التي ابتدعتها أمم العالم}.

وقد استطاعت هذه العاصمة الروحية أن تصبح مادية على أساس هيئة الأمم المتحدة، والتي {خلقت دولة إسرائيل وأنشأتها بأمر من رب العالمين المطلق، ومن أجل أن يتم الأمر الواضح الوارد في التوراة، والقاضي بأنهم سيرثون الأرض ويسكونونها} حسب رأي الحاخام تسفي يهودا.

أما حسب رأي آرثر كوستلر الذي جاء في كتابه إمبراطورية الخزر وميراثها. القبيلة الثالثة عشرة {على الرغم من أن الكتاب يدرس التاريخ الماضي، فلا مفر من أن يحمل تضمينات معينة تنسحب على الحاضر والمستقبل. فأنا أعي - في المقام الأول - الخطر المتمثل في أنه قد يساء فهمه - وبخبث - باعتباره إنكارا لحق دولة إسرائيل في الوجود، ولكن هذا الحق لا يستند إلى الأصول المحتملة للشعب اليهودي، ولا إلى الميثاق الأسطوري بين إبراهيم والله، ولكنه يستند إلى القانون الدولي، أي إلى قرار الأمم المتحدة لسنة ١٩٤٧، القاضي بتقسيم فلسطين - التي كانت يوما ما ولاية تركية ثم صارت إقليما خاضعا للانتداب البريطاني - إلى دولة عربية ودولة يهودية. وأيا كانت الأصول العرقية للمواطنين الإسرائيليين، وأيا كانت أوهامهم عنها التي يعللون النفس بها، فإن دولتهم قائمة فعلا وقانونا. وسواء أحملت كروموزومات شعبها جينات من أصل خزري أو سامي، أو من روماني أو إسباني، فأمر لا صلة له بالموضوع، ولا يمكن أن يؤثر في حق إسرائيل في البقاء، ولا في الالتزام الأدبي لأي شخص متحضر، يهوديا كان أو غير يهودي، بالدفاع عن هذا الحق. ولا شأن لمسألة الوجود الخزري منذ ألف سنة - مهما كان سحرها - بإسرائيل الحديثة}.

وهو الذي كان قد علق على وعد بلفور {إنه أغرب الوثائق السياسية طرا في التاريخ، ففي هذه الوثيقة تَعِد أمة أمة ثانية بأرض تخص أمة ثالثة}.

وفي النهاية فقد استطاعت الصهيونية أن تُخرج الرب (يهوه) بطل ملحمة التوراة من النص التوراتي، ومن اللغة إلى الواقع، كي ينفذ أرادته النصية أو أن يتمثل السيناريو كما كتب على يدي الكهنوت اليهودي، وبذلك قام الرب يهوه بجمع شعبه المختار من الشتات، وأوصلهم إلى أرضهم المقدسة على شكل تسلل في البداية، ولكن بدل أن يدخلهم من نهر الأردن، ومن وادي عربة، ومن صحراء النقب، أتى بهم عبر البحر من بلدان بعيدة، ثم أوكل للقادة العسكريين القيام بدور يشوع حسب السيناريو التوراتي، بحيث أخذ كل واحد منهم جزءا من هذا السيناريو، وقام بتأريخه حسب الإمكانات العسكرية المتاحة، وجميعهم توزعوا دور التصفية العرقية (الحرب المقدسة)، وقاموا بإزاحة شعب كنعان الملعون، من خلال قتله، وتشريده، وتشتيته، واستبدلوهم بشعب الله المختار، من خلال عدة حروب، كانت فيها كل حرب تمثل مقدمة لحرب تليها، ويُعَدّ شارون الشخصية الذي استطاعت أن تأخذ مساحة واسعة من سيناريو يشوع، وما زالت هذه الجرافة تتقدم بكل همجيتها، وثقتها أيضا، وإتقانها لدورها اليشوعي.

وفي النهاية لم تعد الصهيونية تحاجج في الشرعية القانونية لوجود دولة إسرائيل، بل تحاجج على حدودها، وهنا يجب التنويه، أو التذكير بأن دولة إسرائيل تم قبول انتسابها إلى هيئة الأمم المتحدة دون أن يكون لها حدود جغرافية محددة، وهي الدولة الوحيدة من بين الدول الأعضاء في الهيئات الدولية التي لم يتم ترسيم حدود نهائية لها، كما لم يأت في التوراة على حدود واضحة، ونهائية للأرض التي منحها الرب يهوه لشعبه المختار، فبعض النصوص التوراتية ذكرت حدود (أرض الموعودة) في بلاد كنعان فحسب، وهي المحددة بين نهر الأردن شرقا، والبحر المتوسط غربا، وبين جبال لبنان شمالا، وسيناء جنوبا، وبعض النصوص التوراتية أضافت إليها منطقة شرقي الأردن، وهي حدود مملكة داود التوراتية، وبعض النصوص التوراتية مددت حدودها من الفرات إلى النيل، حسب إمكانية شعب الله المختار العسكرية في التوسع في هذه المنطقة، وهو تماما النص التوراتي الذي قامت الصهيونية بتبنيه، ومن هنا فإن الصهيونية قد قبلت مرحليا بقرار التقسيم الذي صدر سنة ١٩٤٧م، ولكن هذا لا يحرمها - حسب رأيها - من أن تطالب بحقها التاريخي في تشكيل دولة إسرائيل على (إيرتس إسرائيل)، وفي هذا السياق يقول بن غوريون متخذا من مملكة داود التوراتية مرجعية لدولة إسرائيل الصهيونية:

{إسرائيل هي أرض أسلافنا، وهي تمتد على جانبي الأردن، القدس عاصمتنا منذ آلاف السنيين، وهي لنا كما أن باريس للفرنسيين ولندن للإنكليز}.

{إن قبول التقسيم لا يلزمنا بالتخلي عن شرقي الأردن، والمرء لا يطلب من أي إنسان أن يتخلى عن رؤيته. سوف نقبل دولة بالحدود التي ثبتت اليوم ولكن حدود التطلعات الصهيونية هي محط اهتمام الشعب اليهودي وما من عامل خارجي يستطيع أن يوقفها ويحددها}.

ويضيف أيضا {إن تقسيم الوطن عمل غير شرعي. ولن يعترف به أبدا. وتوقيع المؤسسات والأفراد على التقسيم باطل، ولن يلزم الشعب اليهودي. لقد كانت القدس وستظل إلى الأبد عاصمة لنا. وإيرتس إسرائيل ستعود إلى شعب إسرائيل كلها وإلى الأبد}.

بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك، متخذا من النص التوراتي الذي يقول إن حدود إسرائيل تتحدد بقدرة بني إسرائيل على التوسع شرقا حتى الفرات، وغربا حتى النيل {إن

حدود إسرائيل هي حيث يشعر جنودها في مأمن} {ألا فليفهم الجميع أن إسرائيل قامت بالحرب وأنها لن تقنع بما بلغته من حدودها حتى الآن. إن الإمبراطورية الإسرائيلية سوف تمتد من النيل إلى الفرات.. ويضيف.. إن خارطة إسرائيل ليست خارطة وطننا. لدينا خارطة مختلفة. وعلى تلامذة المدارس اليهودية جعلها حقيقة واقعة. وعلى الأمة الإسرائيلية أن توسع حدودها لتشمل المنطقة من النيل إلى الفرات}.

في سنة ١٩٥٥م صدر عن الحكومة الإسرائيلية {إن خلق الدولة الجديدة لا ينتقص بحال من الأحوال من إطار الحدود التاريخية لأرض إسرائيل}.

وهو ما ردده أيضا بيغن في مرحلة لاحقة {سوف تعود أرض إسرائيل إلى شعب إسرائيل بكاملها وإلى الأبد}.

وفي موقع آخر يضيف {إن فلسطين بكاملها كانت دائما ملكا للشعب اليهودي، والآن أصبحت في أيدينا أرضا محررة، والسكان العرب فيها متطفلون وغرباء وغير مرغوب فيهم}.

ويقول، ملمحا إلى حدود إسرائيل الكبرى، وإلى مطامعها الاقتصادية الاستعمارية الإحلالية فيها {فنحن إذ نمد أبصارنا إلى الشمال نلتقي بسهول سوريا ولبنان الخصيبة.. وإلى الشرق تتراءى الوديان الغنية لدجلة والفرات.. ونفط العراق، وإلى الغرب بلاد المصريين. فلن تتوفر لدينا إمكانات التطور حتى نحل قضايا الأرض من مواقع القوة. إننا سوف نرغم العرب على الرضوخ المطلق}.

وفي موضع آخر يقول {باسم تراث الآباء الذي يعود إلى آلاف السنين أعلن أن حكومة إسرائيل لن تطلب من أي أمة قريبة أو بعيدة، صغيرة أو كبيرة، أن تعترف بحقنا في الوجود وفي الأرض، لقد حصلنا على حقنا في الوجود وفي الأرض من آلهة آبائنا في فجر الحضارة الإنسانية منذ ما يقرب من أربعة آلاف سنة}.

وفي هذا السياق قال مندوب إسرائيل في هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٧٦م، متحديا الهيئات، والمجتمع الدولي {إنني لا أعتذر عن وجودنا في القدس، وليس علي أن أعتذر لأننا فيها بناء على الحق المعلن في توراتنا}.

وجاء في مذكرة الأرغون التي كان يرأسها مناحيم بيغن، والتي رفعت إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة {إن تقسيم أرض إسرائيل عمل غير شرعي، إن هذا البلد الذي لم يزل الموطن الأبدي لشعبنا، لوحدة واحدة تاريخيا وجغرافيا واقتصاديا، أليس من العبث أن يكون حكم اليهودية والسامرة والجليل في يد غير اليهود؟، إن أسماء هذه الأراضي لتدل على أصحابها الحقيقيين، وهل يقل عن ذلك عبثا ألا تكون أورشليم - مدينة داود، عاصمة لدولتنا؟، إن شعبنا سيخوض الحرب حتى يتحرر كل شبر من أرضنا}.

وفي كتاب الثورة لبيغن جاء {لن يكون سلام لشعب إسرائيل ولا لأرض إسرائيل، ولا للعرب أيضا، ما دمنا لم نحرر وطننا كله}.

وقد جاء في التلمود إن إسرائيل تدعى أرض الظبي، وحسب التفسير الصهيوني، فإن جلد الظبي دائما يكون مشدودا على جسمه، وكلما ازداد جسد الضبي توسع الجلد بما يكفي لاحتواء جسده، دون أي ترهّل، ودون تمزق، أي أن أرض إسرائيل، أو حدود إسرائيل (المطاطية) تتحدد من خلال مقدرة الصهيونية على استقدام المزيد من المهاجرين اليهود، وحسب التزايد السكاني في إسرائيل.

وكانت قد أجابت غولدا مائير عندما سُئلت عن المناطق الضرورية لأمن إسرائيل {إذا أردت القول بأن علينا رسم خطوط فإننا لم نفعل ذلك، وسنقوم به عندما يحين الوقت. ولكن إحدى النقاط الأساسية في سياسة إسرائيل هي أن حدود الرابع من حزيران يوم ١٩٦٧م لا يمكن أن تعاد ضمن اتفاقية سلام. لا بد من تعديل في الحدود. إننا نطالب بتغيير في حدودنا كافة لمصلحة أمننا}.

ومن هنا فلن يستطيع أحد من الساسة الإسرائيليين أن يرسم أي ملامح لحدود دولة إسرائيل، لأنه سيعرض نفسه إلى التصفية السياسية، أو حتى الجسدية كما حصل مع إسحق رابين سنة ١٩٩٥م، بعد توقيعه اتفاقية السلام مع الفلسطينيين، والأردنيين.

- أما الادعاء الثاني التي نجح الإعلام الصهيوني في ترسيخه، فهو ادعاؤها السياسي بشرعية احتلالها، واستيطانها في فلسطين، ومن الطريف ذكره، أن الصهيونية استطاعت أن تقنع الرأي العام العالمي أن (فلسطين أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض)، وأن تستمر بتغذية هذه الأكذوبة، والتي انطلت على الرأي العام العالمي لمدة قرن من الزمان تقريبا، وهذه المقولة تشكل حالة نسقية من الادعاءات الصهيونية اليهودية المتعددة، والتي استطاعت أن تعلنها وتعممها وتعشّقها في الذهنية الدولية من على المنابر التي حرصت على إعلائها، كما حرصت على تكميم أي صوت يحاول أن يكشّف الضباب عن الحقيقة، أو حتى أن يشكك في تلك المقولات اليهودية الصهيونية، تقول غولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل سنة ١٩٦٩ {لا وجود للفلسطينيين.. وكأن هناك من يقول بوجود شعب فلسطيني جئنا لإخراجه من بلده.. كلا.. ليس هناك أي وجود لشعب فلسطيني}.

وكانت مقولة زنغويل (شعب بلا أرض، لأرض بلا شعب) قد انطلت في البداية حتى على قادة الصهيونية، حتى أن ماكس نوردو فوجئ بسماعه وجود شعب فلسطيني، فخاطب هرتزل قائلا {لم أكن أعلم بهذا، إننا إذا لمقدمون على ارتكاب ظلم}.

وحين سأل أينشتاين وايزمن عما سيحدث للعرب بعد أن يستولي اليهود على فلسطين، رد عليه وايزمن {أي عرب؟، يكاد لا يكون لهم أثر}.

وكان وايزمن قد قال سنة ١٩١٤م {هناك بلد صودف أنه يسمى فلسطين، بلد بلا شعب، وفي الجانب الآخر هنالك الشعب اليهودي لا بلد له، وماذا يراد غير إدخال الإصبع في الخاتم للجمع بين هذا الشعب وهذا البلد}.

وفي هذا الصدد هناك الكثير من المقولات الصهيونية التي يمكن الاستشهاد بها في هذا المقام، منها ما قاله بن غوريون في غير مناسبة:

{لقد أنشئت دولة إسرائيل في بلادنا التي قطنها المحتلون والغزاة العرب طوال ١٣٠٠ سنة}.

بن غوريون {تتألف كل دولة من الأرض والشعب، وإسرائيل لا تشذ عن هذه القاعدة، غير أنها لم تأت مطابقة لأرضها، فقد قامت فوق جزء من أرض إسرائيل التاريخية}.

وكان قد قال بن غوريون في سنة ١٩٥٥ {إن إسرائيل لا تطمع في الحصول على بوصة واحدة من الأرض الأجنبية، ولا تسمح لأحد أن يسرق بوصة واحدة من أرضها، ولا بد من تحرير ما تبقى من أرض إسرائيل الخاضعة لسيطرة أجنبية في مستقبل الأيام، وضمها إلى الأراضي المحررة لتتكامل أرض الوطن القومي اليهودي}.

وهو ما أكد عليه بعد العدوان الثلاثي على مصر {إن الجيش الإسرائيلي لم يكلف نفسه عناء احتلال أرض العدو في مصر، وإنما اقتصر في عملياته على تحرير شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة من قوات العدو}.

الحاخام تسفي يهودا كوك الأب الروحي لغوش إيمونيم (١٨٩١ - ١٩٨٢م) {كل هذه الأراضي لنا.. جاء إليها الآخرون وبنوا عليها في غيابنا من دون إذن منا}.

ويقول ناطق باسم غوش إيمونيم {إن العرب سكان مؤقتون، صودف أن سكنوا في هذه البلاد}.

ويقول الحاخام شلومو أفينر {إن الوضع يشبه رجلا دخل منزل جاره من دون إذن، وسكن فيه طوال سنوات، وحين جاء صاحب البيت الأساسي، زعم الغازي: إنه منزلي، إني أسكن هنا منذ أعوام، ماذا يهم، طوال هذه الأعوام كان لصا، والآن يجب عليه أن يرحل، وأن يدفع أجرة السكن أيضا. يمكن للمرء أن يقول: هناك فارق بين السكن ثلاثين عاما، والسكن ألفي عام، ونحن نسأله: هل من قانون يحدد للص حقا في ما ينهبه؟، كل إنسان كان هنا يعرف جيدا أنه يسكن في أرض يملكها شعب إسرائيل} ويقول أيضا {لقد أمرنا إله إسرائيل بأن نستولي على هذه الأرض كلها، في حدودها المقدسة، وبأن نفعل ذلك بحروب التحرير}.

مناحيم بيغن {ليس لعبارة الضفة الغربية أي معنى، إنها يهودا والسامرة، وهي أرض إسرائيل التاريخية، وملك للشعب اليهودي}.

المؤرخ التوراتي أهاروني {لا يوجد شعب فلسطيني قديم، بل يوجد سكان ما قبل التاريخ، ولذلك لا يمكن أن يكون هناك شيء اسمه تاريخ فلسطين.. - إن - الشعب الأول والوحيد الذي جعل من هذه الأرض وطنا له هو شعب إسرائيل}.

أما المؤرخ التوراتي ديفيد كاتاريفاس {إن العرب سيطروا على البلاد، ولم يتمركزوا فيها، وإن جميع الذين حكموا البلاد فترات متفاوتة، من آشوريين وبابليين وفرس ويونان وعرب، جميع هؤلاء الذين حكموا البلاد منذ قرون كانوا غرباء عنها، وليس لهم ارتباط معها، لا جذور لهم فيها.. إن صلة اليهود بالأرض هي وحدها الصلة الحقيقية والواقعية والتاريخية}.

ويقول رئيس جامعة بار إيلان الدينية هارلود فيش {إن اليهود هم الأمة التي عينها الله شعبا شرعيا أبديا، لا مطعن في حقه في أرض إسرائيل كلها، أما الفلسطينيون فلا حق شرعيا لهم على الإطلاق في ادعاء المواطنية أو المطالبة بأي قطعة من البلد.. والعهد بين شعب إسرائيل وإلهه، ذلك العهد الذي تعد أرض الميعاد جزءا لا ينفصل عنه، هو غاية مهمة من غايات خطة الخليقة، وهذا الواقع هو ما يرسخ العلاقة بين شعب إسرائيل وأرضه.. إن فرادة اليهود الأبدية ناتجة عن العهد الذي قطعه الله معهم في جبل سيناء، وهو حدث تاريخي حقيقي ذو نتائج أبدية، ولا مفر للعالم كله منها}.

وقد استطاع الإعلام الصهيوني أن يغيّب، في البداية، الشعب العربي الفلسطيني وجوديا، وحين تكشف للعالم وجوده حاول تغييبه حضاريا وسياسيا، فرسم صورته في ذهنية العالم الغربي على أنه شعب متخلف، بدائي، همجي، عدواني دنس الأرض المقدسة التي تسيل عسلا ولبنا، وحولها إلى صحراء قاحلة، وفي هذا السياق يقول يرمياهو أستاذ الفلسفة في الجامعة العبرية {على الرغم من وجود هؤلاء، يجب اعتبارهم غير موجودين،

والنظر إليهم على أنهم ليسوا من البشر، وحرمانهم حقوقهم كجماعة}، كما قام الإعلام الصهيوني بتغييب فلسطين تاريخيا، وجغرافيا، ولم تتكشف حقيقة هذه الأكاذيب الصهيونية الإعلامية، بشكل واضح إلا بعد انطلاق الانتفاضة الفلسطينية، ولكن بعد أن كانت الصهيونية قد حصدت كل ما تريده منها.

ومن الادعاءات الصهيونية الإعلامية التي روج لها الإعلام الصهيوني، ووجهته نحو العالم العربي على وجه التخصيص، هي مقولة (الجيش الإسرائيلي.. الجيش الذي لا يقهر)، وقد كان لهذا الادعاء تأثير كبير على الذهنية العربية التي استسلمت لتلك المقولة، وفي هذا السياق يقول مونتبني {أي نصر كبير تنتظرون أكثر من إفهام عدوكم بأنه عاجز عن قتالكم}.

وقد كان الإعلام الصهيوني قد قام بتصنيع مجزرة كفر قاسم في حرب سنة ١٩٤٨م، التي من خلالها استطاع أن يفرّغ الكثير من القرى الفلسطينية من أهلها دون أي مقاومة، ولكن التأثير الإعلامي الأكبر لأسطورة الجيش الذي لا يقهر فقد تجلى في حرب حزيران لسنة ١٩٦٧م، إلا أن حرب تشرين لسنة ١٩٧٣م حررت جزئيا الذهنية العربية من هذه المقولة.

ومن مثل هذه الادعاءات أيضا، هو التصور الشائع الذي يتلخص بأن اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية هو الذي يدير رجالات البيت الأبيض، وبالتالي فإن اليهود يتحكمون بالسياسة العالمية، وهو تصور يقوم الإعلام الصهيوني بالإيحاء به تلميحا، بخاصة وأن البيت الأبيض يتجاهل الرد على هذه الادعاءات، على الرغم من أنها تشكل إهانة لهيبته السياسية، بل ربما تساهم بالترويج لهذا الادعاء، أما أعداء اليهود فهم الذين يقومون بالتصريح به، وهم الذين يُتهمون من قبل البعض بأنهم (أصحاب المؤامرة)، والكثير من الباحثين، ومنهم د٠عبد الوهاب المسيري، يرون أن أعداء اليهودية من (أصحاب نظرية المؤامرة)، والصهيونية يقدمون خدمات إعلامية واسعة للصهيونية من خلال إلصاق صفات الشر والعدوان والمؤامرات المهولة باليهودية والصهيونية، كما أنهم وراء الترويج، والتضخيم (لليد الخفية اليهودية)، والماسونية، والتنظيمات السرية اليهودية، وهم يعتقدون على سبيل المثال أن (بروتوكولات حكماء صهيون) ما هي إلا مجموعة من الكتابات ألفها ونشرها أعداء اليهودية باسم اليهود كي يشوهوا صورتهم الأخلاقية.

كما أن العرب وبخاصة الإعلام السلطوي قد ساهم في أسطرة التفوق الصهيوني، من خلال تضخيم الإعلام العربي للصورة القبيحة لليهودية، وللقوة العسكرية للصهيونية، والسلطة، والإعلام العربي من خلال ذلك يظهرون انتصار العرب الأخلاقي على اليهود، ويسوغون عجزهم وهزيمتهم العسكرية أمامهم، يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري في هذا السياق {فنحن في رصدنا - لإسرائيل - لا نركز إلا على مواطن قوتها وتقدمها وتفوقها، وهذه هي الموضوعية العلمية، أما إذا اكتشفنا نقاط ضعف العدو وقصوره وتآكله، فإن هذا يصنف باعتباره خداعا للذات. إن الذات المهزومة تخضع تماما للآخر ولا يمكنها أن تتصور أن من الممكن أن تتفاعل داخله عوامل الحياة والانتصار والموت والانكسار،.. ومع أطروحة الهزيمة الاختزالية، تحول الكثير من الباحثين إلى جند مجندة تخدم العدو بنزاهة موضوعية دون أن تدري، فهي ترصد مواطن قوته، وتصدق كل ما يقوله وتتصرف في إطاره بأمانة مضحكة}.

أما الادعاء السياسي الثاني الذي نجح الإعلام الصهيوني في إضاءته، وتصويره بعدسات مضخمة، فيتمثل في الهولوكست النازي، حيث استطاع الإعلام الصهيوني أن يقنع القاضي العالمي الافتراضي، ودون مزيد من التردد، بالموافقة على كل الأطروحات المقدمة لإنقاذ المضطهدين، أو على الأقل، أن يغض الطرف عن كل ما هو لا شرعي في إجراءات الهجرة إلى فلسطين لإقامة وطن قومي لليهود تنفيذا لما جاء في وعد بلفور، كما كان لتلك الحملة الدعائية الإعلامية تأثير تعاطفي كبير مع اليهود في العالم بأسره، وظهر ذلك جليا خلال تداول اتخاذ قرار التقسيم في هيئة الأمم المتحدة في سنة ١٩٤٧م، وقد نجح الإعلام الصهيوني في الوصول، والتأثير على الضمير الإنساني، والذي تلاه مسبوقا، وملحوقا بنحيب اليهود الذين عانوا من الاضطهاد الآري النازي في المجال الحيوي الألماني، والذي سوقه الإعلام الصهيوني على أنه اضطهاد ذو جوهر عرقي، وليس ديني، خوفا من تعاطف العالم المسيحي الغربي مع مسيحية هتلر، ومن حينها ارتبطت تهمة معاداة السامية مع تهمة النازية، وهي التهمة التي كان يخشى أي فرد أو جهة أن توجه له.

obeikandl.com

الصهيونية، وتهمة اللاسامية

السامية، تعبير سياسي أطلقه كل من شلوتزر، وهلفي العالمين النمساويين اليهوديين في الربع الأخير من القرن الثامن عشر ميلادي، وهو الذي نحته من التوراة التي قسّمت البشر إلى:
ساميين، وهم شعوب الشرق الأدنى القديم، والذي أوكل لهم الرب مهمة حملة اللاهوت.
ويافثيين، وهم شعوب أوربا التي أوكل إليها الرب مهمة التفكير.
وحاميين، وهم الشعوب الأفريقية التي أوكل إليها الرب خدمة الشعوب الأخرى.

ومن مصطلح السامية، ولد المصطلح الذي أصبح أكثر شهرة، وهو معاداة السامية، أو اللاسامية، الذي بلورته الصهيونية، والتي جعلت من اليهود فحسب الشعب السامي الوحيد، على الرغم من أن العرب، حسب التوراة، هم من الشعوب السامية، ومن هنا فقد كان العرب، كلما وجهت الصهيونية لهم تهمة اللاسامية، يدافعون عن أنفسهم ودون أدنى تريث نحن ساميون أيضا، فكيف نكون أعداء أنفسنا؟؟؟، وبذلك فإن الصهيونية، وبطريقة خبيثة، جعلت العرب، وسواهم من الشعوب يقرّون بالنظرية اليهودية العرقية اللاإنسانية بكل مفرداتها وجملها، وأهمها اعترافهم الضمني بأن اليهود هم شعب الله المختار، وبالتالي إقرار الشعوب بالمعاهدة التي تمت بين الآباء الأوائل لليهود، وبين الرب يهوه، والتي بمقتضى هذه المعاهدة أصبحت أرض كنعان ملكا أبديا ومقدسا لشعب الرب المختار الذين يمثلون الرب على الأرض، وهذا ما يعطيهم حالة خاصة واستثنائية أو حصانة قانونية، ليس فقط ضمن القوانين السماوية، بل والأرضية، وعلى رأسها حصانة دولية في هيئة الأمم المتحدة، وما يصدر عنها من قوانين تنظم علاقات الدول والشعوب فيما بينها.

وكانت الصهيونية قد روّجت في سياق اتفاقية كامب ديفيد (خيمة داود) أن المصريين، وهم من الحاميين، هم أبناء عمومة اليهود الساميين وقد انطلت الخديعة على الإعلام الرسمي المصري آنذاك، دون أن يتنبهوا أنهم بذلك جعلوا الآراميين وهم أهل بلاد الشام، والعرب سكان الجزيرة العربية أقرب إلى اليهود منهم إلى الشعب المصري وشعوب المغرب العربي، وبذلك أعادت الصهيونية الانتماءات إلى ما كانت عليه أثناء تشكل دولة إسرائيل التوراتية في القرن العاشر قبل الميلاد، فمصر هي فرعونية، والسودان هي كوشية، والمغرب العربي وأفريقيا بشكل عام هم من أبناء حام، وبلاد الشام هم آراميون

ساميون، والخليج العربي هم إسماعيليون ساميون أيضا، وبلاد الرافدين هم بابليون وأكاديون من أبناء حام، أما الكنعانيون الذين صب عليهم اليهود جام أحقادهم، فهم الشعب الذي لعنهم الرب.

إن اليهودية عبارة عن شريعة سلطوية، أي لا يمكن تطبيقها إلا على شعب عضوي، وأمة بالمعنى السياسي السيادي، واليهودي العنصري لا يمكن له أن يخضع لقوانين غير قوانين يهوه المقدسة، والتي لا يمكن أن تطبق إلا على شعب عضوي، ولأن اليهودي العنصري رفض التخلي عن يهوديته فقد اصطدم اليهود في شتاتهم بقوانين الأمم والشعوب (المدنسة، المستحقرة) في العالم الأوربي الذي يخضع لقوانين بشرية، ومن هنا فإن اليهودي تمسّك بشريعته في ظل نظام تشريعي آخر، الأمر الذي قاد إلى صدام بين اليهودي الغريب، وبين المواطن العضوي، وبالتالي السلطة، وهذه النقطة هي الأهم من بين الأسباب التي ولّدت معاداة اليهود على مر الزمكان، حسب ما ذهب إليه برنار لازار في كتابه (مناهضة السامية).

وكانت اللا سامية قد ساهمت في تشكيل (الصهيونية غير اليهودية)، والتي ساهمت بدورها في تشكيل الصهيونية اليهودية، وعلى الرغم من أن الصهيونية اللاسامية، والصهيونية اليهودية على طرفي نقيض، إلا أنهما كانا على وفاق في عدة نقاط أهمها، أن كلتا الصهيونيتين رفضتا اندماج الجماعات اليهودية في المجتمع الغربي الأوربي المسيحي، فأعداء اليهود (أصدقاء الصهيونية) يرون اليهود كائنات طفيلية، أو خلايا سرطانية تؤدي إلى خلل في نمو المجتمعات، أو جراثيم قذرة تسمم الجسد الذي تحل فيه حسب رأي المفكر الاشتراكي ألايزا، وهو أيضا ما كانت تروّج له الصهيونية لتحريض القيادات الأوربية على تبني المشروع الصهيوني، وكان الأب الروحي للصهيونية موسى هس قد قال {فالأمم المسيحية لا تعارض عودة الدولة اليهودية إلى الحياة لأنهم بهذه الطريقة سيتخلّصون من شعب غريب يعيش بينهم بعد أن كان شوكة في جنبهم}.

أما ماكس نوردو فقد كان قد قال عن اليهود {كائنات دقيقة لا تراها العين ولكنها في واقع الأمر تقوض المجتمع من الداخل وتفت في عضده، وذلك إن لم تعرّض للشمس}.

كما أن الصهيونية تعتقد أن اليهودي لا يمكن أن يخلع جبته الكلسية التي تحول دون اندماجه إلا على أرضه المقدسة، حيث هناك يمكنه خلع جبته وإلباسها كجدار غيتو حول الدولة الصهيونية، كما أن الصهيونية كانت ترى أن اللاسامية تشكل أحد المصادر الإيجابية التي تدعم الفكر الصهيوني، وكان هرتزل قد قال {المعادون للسامية سيكونون أكثر الأصدقاء الذين يمكننا الاعتماد عليهم، وستكون الدول المعادية للسامية حليفة لنا}، لأن كسب المزيد من الأعداء، يعني كسب المزيد من مؤيدي وداعمي الدولة الصهيونية، وهذا يعني أن السامية واللاسامية كلاهما كانا يصبّان في جيب الصهيونية، وأن أعداء اليهودية، والمتعاطفين معها، على حد سواء سيسعون بكل إمكاناتهم لتشكيل وحماية الدولة الصهيونية، وحسب قول هرتزل {سوف ينتصر اللاساميون، ولكن لا تحسدوهم لأننا نحن أيضا سنكون سعداء}.

على الرغم من أن هرتزل كان يشكك في ما يدعيه المتزمتون من أن اليهود يعودون إلى عرق واحد {كل ما أستطيع قوله أننا - نحن اليهود - وحدة تاريخية وأمة ذات أصول

بشرية متنوعة.. ويكفينا ذلك لقيام دولة يهودية إذ ليس هناك أمة ذات عرق صاف.. إن العداء للسامية قد جعل منا شعبا يهوديا}.

أما بنسكر فيقول {إن اليهودية والعداء لليهودية يسيران جنبا إلى جنب عبر التاريخ منذ قرون عديدة، فاليهود هم الشعب المختار بسبب الحقد الأبدي للبشرية}.

أما وايزمان فيقول {إن السبب الرئيسي للاسامية هو وجود اليهودي}.

وهو مشابه لما قاله سوكولوف {.. إن تميز اليهودي بخصوصياته العرقية هو سبب الحقد الدائم الذي يكنه غير اليهودي له.. وأن جميع الشعوب التي يعيش اليهود بينها هي ذات نزعة لا سامية ظاهرة أم مخفية}.

وهو ما ذهب إليه آرنولد توينبي حين قال {إن الصهيونية والعداء للسامية هما تعبيران عن وجهة نظر متماثلة، والفكرتان تقومان على فرضية واحدة هي أنه يستحيل على اليهود وغير اليهود التعايش في مجتمع واحد}.

أما بيغن فقد قال {لا يمكن التفريق بين معاداة إسرائيل ومعاداة الصهيونية، واللاسامية}.

وملخص القول، فإن اليهودية، ومن بعدها الصهيونية ترى أن العالم من خلال لاساميته أجبر اليهود على اعتناق مبدأ الدولة - الأمة، وعلى العقلية اللاسامية العالمية تقع الملامة لا على اليهود، وأن هتلر هو من أسهم أكثر من غيره في تحديد الهوية اليهودية، وأن أوشفيتز، وهي أحد أهم رموز اللاسامية، هي التي رفعت حالة الوعي اليهودي بالهوية اليهودية، وقد دفع الشعب اليهودي ستة ملايين إنسان ليصبح اليهودي يهوديا حسب الادعاءات الصهيونية، ومن رمادهم طارت عنقاء اليهودية، وفي هذا الصدد يقول إسحق دوتشر (اليهودي الماركسي) {إذا لم يكن العرق هو الذي يصنع اليهودي فما الذي يصنعه إذن؟ الدين؟ أنا ملحد. القومية اليهودية؟ أنا مؤمن بالأممية، ولذلك فأنا لست يهوديا في أي من المعنيين. ومع ذلك فأنا يهودي بفعل تضامني غير المشروط مع الناس الذين يطاردون ويبادون. أنا يهودي لأنني أحس الفاجعة اليهودية هي فاجعتي اليهودية. لأنني أحس تحت أصابعي نبض التاريخ اليهودي، لأنني أريد أن أصنع كل ما في وسعي لأوفر لليهود أمانا واحتراما للذات أصيلين لا مزيفين}.

واللاسامية أصبحت التعبير الأكثر شهرة الذي روجت له وسائل الإعلام الصهيونية ضد كل من يعمل ضد اليهود، أو بصيغة أدق وأوضح من لا يعمل تحت إرادتها ومشيئتها، بغض النظر عن انتمائه وجنسه، وبالتالي فاليهودي قد يكون لاساميا، وهذا يعني أن السامية الصهيونية هي انتماء سياسي وليس عرقي، وقد بلغ هذا التعبير ذروة شهرته في سياق المجازر النازية لليهود، وقد أصبح مصطلح اللاسامية، الذي عرفت كيف تسخره، وتستثمره الصهيونية، من أخطر التهم التي قد توجهها الصهيونية العالمية إلى فرد أو مؤسسة أو حكومة على الإطلاق، وكان خطابها السياسي الإعلامي على الضمير العالمي يرتكز على أن الاضطهاد الآري لليهود ذو جوهر عرقي، وليس ديني خوفا من تعاطف العالم المسيحي مع مسيحية هتلر، ومن حينها انطلقت دعاية (معاداة السامية)، وهي التهمة التي كان يخشى أي فرد أو جهة أن يُتهم بها لمساواتها بالنازية، لا سيما وأن الإعلام الصهيوني نجح في جعل اليهود النقطة البارزة في أي شيء، فلو حصل اضطهاد من قبل أمة، أو جماعة ما

لمجموعة من الأقليات، وكان بينهم يهودي واحد فسيكون التركيز على هذا اليهودي وستصبح الجماعة المضطهدة جماعة لاسامية.

وتهمة اللاسامية توجّه إلى أي نشاط يقوم به أي فرد، أو جهة أو مؤسسة ضد اليهود سواء كانوا أفرادا أم جماعات، أم مؤسسات، وبذلك فإن للاسامية أنواع متعددة أهمها:

- اللاسامية المسيحية اللإجتماعية، وهي أكثر اللاساميات شهرة، وتعود إليها أكثر الأعمال العدوانية التي تعرض لها اليهود في العالم الأوربي الذي كان ينظر إلى اليهودي على أنه قاتل المسيح من جهة دينية، كما أنه ينتمي إلى أثنية، أو عرق غير أوربي من جهة اجتماعية أثنية.

يقول برنار دي لازار صاحب كتاب (مناهضة السامية) {إن اليهودي معاد للمسيحي بالضرورة، فبكونه يهوديا تحتم عليه يهوديته أن يكون عدوا لكل الأديان الأخرى، فهو معاد للمسلم ولكل تعاليم دينه، وكذلك معاد لتعاليم الأديان الأخرى بالضرورة.. هذه حال اليهود ووجودهم الطفيلي بيننا، إن اليهودي بمثابة مذيب للمسيحية، وزارع للفوضى والشغب والفساد، هذه الأمور الخطيرة تسبب الكوارث والحروب، وقد ثبت لنا بأن قبول اليهودي في جسم أي أمة من الأمم يعني دمارها وهلاكها، وأن دخول اليهودي في أي مجتمع إنساني فذلك يؤدي حتما إلى تدمير هذا المجتمع وزوال دولته}.

ويضيف في موضع آخر {أي الفضائل وأي مثالب استحق اليهودي من جرّائها هذا البغض العالمي؟ لماذا أهين وأسيئت معاملته، وكره على مرّ الأزمان، وبشكل متساوي من الإسكندريين ومن الرومان، من الفرس والعرب والأتراك، ومن الشعوب المسيحية؟ لأنه أينما كان وحتى يومنا هذا كان اليهودي كائنا غير اجتماعي.

لماذا كان غير اجتماعي؟ لأنه كان إنسانا مطلق التحيز لأفكاره}

- اللاسامية الأثنية القومية، وهي التي تنظر إلى اليهود على أنهم شعوب غير أوربية يخلّون بالنظام العام، وينافسون الأوربيين على خيرات بلادهم، ولأن العالم الغربي لا يمكن أن ينكر للحضارة الشرقية (السامية) دورها الحضاري، فكان العالم الأوربي يقسمون العرق السامي إلى فرعين، أو قسمين:

ساميون راقون، وساميون منحطون يمثلهم العرق اليهودي، وتُعَدّ النازية أهم مشتقات اللاسامية القومية.

يقول برنار دي لازار صاحب كتاب (مناهضة السامية) {أينما حل اليهود واستوطنوا.. نمت وانتشرت مناهضة السامية، أو بالأحرى، مناهضة اليهودية} لأن {هذا العرق كان هدفا لكره جميع الشعوب التي عاش فيما بينها. لذلك، وبما أن أعداء اليهود ينتمون إلى أعراق وأصول مختلفة ومبادئ متعاكسة، وليس لديها العادات نفسها، ولا الأعراف نفسها، تحركها ذهنيات متباعدة لا تسمح لها أن تحكم على الأشياء بشكل متماثل، وجب، إذن، أن تكون الأسباب العامة لمناهضة السامية كامنة في اليهود ذاتهم، وليس عند الذين يحاربونهم}، وأيضا لأن هذا {الشعب اليهودي أراد أن يكون قوة قادرة، فهو شعب نشيط حيوي متغطرس بلا حدود، كان يعد نفسه أعلى من بقية الأمم. وعنده ميل غريزي إلى السيطرة، وذلك بسبب أصوله ودينه ونوعية العرق المصفى التي نسبها - دوما - لنفسه في جميع العصور، فهو كان يعتقد نفسه فوق الجميع}، وهكذا {استمر اليهود في كل مكان

مثل قبيلة غريبة محافظة غيورة على قوانينها وعاداتها قررت الموت الفكري والروحي عن أن تموت فيزيائيا وطبيعيا}.

- اللاسامية الاقتصادية، وهي تتفشى في كل الأطر والمناخات الاقتصادية، وهي تمثل بؤرة الصراع بين الرأسمال الوطني، والرأسمال الأجنبي، وهي التي ترى أن اليهودي الدخيل يمتلك حراكية عالية في التحكم بالمال، وهذا ما من شأنه أن يضايق التاجر الوطني العضوي.

كما يمكن اشتقاق، وتصنيف أنواع متعددة من اللاسامية منها اللاسامية الميتافيزيقية العقيدية التصورية، واللاسامية الثورية، واللاسامية الأدبية وهي التي استمرت بعد أن انتهت كل أنواع اللاساميات الأخرى، على الرغم من أن الصهيونية استطاعت أن تقمع، وتكتم الأصوات المعادية من خلال توجيه تهمة (اللاسامية) التي تعادل تهمة الجريمة، ولكن ما زال هناك بعض الأقلام (العنيدة) تصر على تدوين أفكار أصحابها، ويُعَدّ روجيه غارودي من أهم شخصيات هذه اللاسامية في الوقت الحالي، وهو الذي يقول في كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) {ما ننبذه هو القراءة الصهيونية القبلية القومية لهذه النصوص، حين تقلّص الفكرة العملاقة (للميثاق) بين الله والإنسان، وجميع الناس، ولحضوره في الجميع، وحين تستخلص منها الفكرة هي أكثر أفكار التاريخ الإنساني شرا: فكرة (الشعب المختار) من إله متحزب ومتحيز (فهو إذن وثن) مسوغ سلفا جميع أنواع السيطرة والاستعمار والمذابح، وكأن ليس في التاريخ من (تاريخ مقدس) سوى تاريخ العبرانيين}.

كما يقول روجيه غارودي {إسرائيل حدث استعماري من حيث الجوهر مغلف بأسطورة لاهوتية كاذبة}.

ويقول أيضا في كتابه (إسرائيل الصهيونية السياسية) {الصهيونية السياسية لم تولد من التقاليد اليهودية وإن كانت إسرائيل تستغلها ستارا ومسوغا بل من القومية والاستعمار الغربي السائد في القرن التاسع عشر، وبالتالي فإنها أحد أشكال العنصرية القومية الاستعمارية} وهذا التصور (السطحي) هو الذي تبناه الكثير من المفكرين العرب، والذي تم بناؤه على أساس (العقد الصامت) الذي أبرم بين التطلعات الاستعمارية الغربية التي حاولت استغلال المعتقد، والتصور اليهودي الديني التوراتي من جهة، وبين التطلعات الصهيونية اليهودية الدينية الصوفية لإنشاء وطن قومي يهودي، كما أنه تأثر بالخطاب الصهيوني المراوغ الذي كان يصور للعالم الغربي أن الصهيونية تحاول إنشاء وطن قومي يهودي، في أي مكان، لحماية اليهود من الأعمال اللاسامية الأوربية، ولو كانت الصهيونية عبارة عن فكرة استعمارية بحتة، لما حاول اليهود أن (يعودوا) ويتمسكوا بوطنهم الصوفي الذي يسمونه الفردوس المفقود، على الرغم من أنه يمثل في الجحيم الحقيقي.

الصهيونية والنازية

بعد أن ترسخ مفهوم القومية الأوربية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، تطورت، أو تطرفت بعض هذه القوميات نحو العنصرية الشوفينية، كما هو الأمر عند القومية السلافية، والآرية النازية، والإيطالية الفاشية، والفرانكية الإسبانية، وبما أن اليهودية هي عنصرية في تكوينها، فقد اصطدمت بالعنصريات الأوربية التي كانت على تماس معها، ومنها السلافية، والنازية الألمانية، لا سيما وأن هتلر كان يحمل حقدا شخصيا على اليهود، والذي حاول جعله موضوعيا في معرض حديثه عن النظرية النازية التي وردت في كتابه «كفاحي»، فحسب رأيه {إن الإنسانية تنقسم إلى ثلاثة أجناس:

١ - الجنس الذي صنع الحضارة.

٢ - الجنس الذي حافظ عليها وسندها.

٣- الجنس الذي يعمل على تدمير الحضارة.

أما الجنس الأول فهو الجنس الآري الصانع الوحيد للحضارة.

أما الجنس الثاني فهم الآسيويون من أمثال اليابانيين والصينيين الذين استمدوا الحضارة من الآرايين ولم يكونوا خالقين لها.

وأما الجنس الثالث فمثاله اليهود الذين ما فتئوا يهدمون منجزات الحضارة الإنسانية}

وهنا لي أن أذكّر ثانية بما قد قاله هتلر عن اليهود، واليهودية، في كتابه «كفاحي» والتي كنت قد أوردتها في معرض حديثي عن الشخصية اليهودية {إن ذكاء اليهودي متجه دوما نحو الهدم والتخريب، فهو وإن فعل خيرا أحيانا فعن غير قصد، لأنه يعتقد فيه الشر، ففعله}.

{إن اليهود ليسوا رحلا، لأن الرحل يتميزون بالمثالية، وهم لم يكونوا رحلا قط، بل كانوا وما يزالون طفيليات تنافس الشعوب على مقومات وجودها، ولئن تركوا المناطق التي سكنوها، فإنما تركوها مرغمين، ملعونين من كل الشعوب التي طردتهم بعد أن ضاقت بهم وبخروجهم عن آداب الضيافة}.

{ليس لليهود حضارة خاصة، ولا أخلاق.. فالشرط الذي يجعل من الشعب شعبا ذا حضارة ليس موجودا في - الشعب المختار - فليس لليهود مثالية، ذلك أن روح التضحية عند اليهود لا تتعدى نطاق الأنا.. أما التضامن الذي تجده بين اليهود والذي يبدو قويا، ليس أكثر من تجمع زمني أشبه بتجمع قطيع من الذئاب لمهاجمة الفريسة، فما أن تنتهي الوليمة حتى يتفرق المدعوون، واليهودي لا يعرف التضامن إلا في حالة الخطر، والتضامن هنا يصبح واجبا في حالتين: تجاه العدو المشترك، أو تجاه فريسة مشتركة، فإذا زالت مسببات التضامن يرجع اليهود إلى أنانيتهم، ويصبح همهم الوحيد: الكيد والمؤامرات، ونهش بعضهم بعضا}.

{لقد تلمست بنفسي تكتل الإسرائيليين، وتجمعهم في حي واحد، ومحافظتهم الشديدة على تقاليدهم وعاداتهم وطقوسهم وإذا ظهر بينهم انقسام فهو مصطنع، وهم بذلك يلعبون

لعبة قذرة، تعتمد الكذب طهارة مما يتنافى والطهارة الخلقية، طهارة الذيل التي يدعيها اليهود وطهارة الذيل هذه وكل طهارة يدعيها اليهود هي ذات طابع خاص فقذارتهم كانت تصدم النظر منذ أن تقع العين على اليهودي}.

وكان هتلر قد أجاب على سؤال وجه له عن سبب كراهيته لليهود، وعن سبب عدائية النازية لليهودية، واليهود {لا يمكن أن يكون هناك شعبان مختاران. ونحن وحدنا شعب الإله المختار. هل هذه إجابة شافية على السؤال؟}.

إن النازية من خلال اعتناقها للمذهب المادي النفعي، وتزويجها لمعتقدها المادي النفعي بالفلسفة الهيجلية النيتشوية الداروينية التي تجعل من الشعب الألماني (العرق الآري) عرقا سيدا، وقد وضعت عدة آليات للتخلص من الشوائب البشرية (السلاف، الغجر، اليهود) التي يمكن لها أن تعكر صفاء هذا العرق الآري المميز الذي ينتشر في المجال الحيوي لألماني، وكانت النازية تنظر إلى الجماعات اليهودية على أنها أولا هي شوائب مورفولوجية عرقية، كما أنها شوائب وظيفية أيضا (فائض بشري) لأنها شعوب طفيلية تعيش على حساب الآخرين، لا سيما وأنهم كانوا يتركزون في أعمال التجارة والصيرفة والربا التي كانت تستغل الشعب أبشع استغلال، وهذا ما جعل الجماعات اليهودية أعضاء مكروهين في المجتمع الوطني، بغض النظر عن النظرية العرقية لهم، وإضافة إلى ذلك كانت النازية تدّعي أن اليهودية تحيك مؤامراتها ضد ألمانيا، وقد حمّلت النازية هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية إلى اليهودية.

والنازية على اعتبارها نمطاً من أنماط الصهيونية اللاسامية، كانت ترى كالصهيونية، بأن لليهود وحدة تاريخية سياسية، ومن هذه النظرة كانت تُعَدّ أن اليهود جماعات عابرة في طريقها إلى وطنها القومي، وهذا يعني أن اليهود جاليات في أوربا وليسوا أقليات وطنية، وأن أعضاء تلك الجماعات غرباء أو مهاجرين وليسوا مواطنين، ولذا يجب التخلص منهم بطردهم من أوربا إلى المكان الذي أتوا منه، أو إلى أي مكان في العالم خارج أوربا، وبالتحديد خارج المجال الحيوي الألماني، ولكن تصاعد ثقافة العنف، في سياق الحرب العالمية الثانية، جعل النازية تتبنى سياسة التخلص من اليهود، وسواهم من الأقليات، والقوميات الأخرى من خلال إبادتهم، ولا سيما السلافية، والغجر، الذين رفضت استقبالهم الكثير من الدول الأوربية ولا سيما بولندا، والولايات المتحدة، كما أبادت النازية الكثير من المسنين والعجزة الألمان، من خلال تصورها المادي النفعي للحياة.

إن النازية والصهيونية طرحان شبه متطابقين لنظرية فكرية واحدة، فكلاهما يقومان على أساس عرقي شوفيني، وكلاهما يقومان على مفهوم ارتباط الشعب (السيد)، على أرض مقدسة، ولا يمكن للشعب المميز النقي أن يتمثل تاريخيا إلا من خلال ارتباطه بأرضه (المقدسة)، حيث يتشكل من هذا الارتباط (الدولة المقدسة)، المتمثل بالرايخ الثالث بالنسبة للنازية، والهيكل الثالث بالنسبة للصهيونية.

إن الفلسفة النازية العلمية كانت متشربة بالتوراة الدينية، إلى درجة أن هتلر حاول أن يؤلمن اليهودية، بحيث جعل من الشعب الألماني شعب الله المختار، بل وأنه تبنى الرؤى المسيحانية اليهودية في الخلاص العالمي، أما الصهيونية الدينية فقد كانت شديدة التأثر بالنازية، وكان قادة الصهيونية اليهودية (تيودور هرتزل - الفريد نوسيج -

ماكس نوردو) معجبون بالفكر النازي، لا سيما وأنهم كانوا متشربين بالثقافة الألمانية، وبالأخص بالفلسفة النيتشوية، والتي تشكل المنطلق النظري للنازية، مع العلم أن القيادات الصهيونية كانت ذات ثقافة ألمانية (هرتزل و نوردو)، إضافة إلى أن اليديشية هي رطانة ألمانية، وكانت لغة المؤتمرات الصهيونية الأولى هي الألمانية، كما أن الصهيونية استمدت الكثير من أفكارها من التصورات الرومانتيكية الألمانية، وهذا ما أدى إلى وجود تشابه كبير بين النازية النيتشوية والصهيونية اليهودية، فكلتاهما يشكلان ديانتين ملحدتين تتبنيان الحلول الزماني (من الإحلال)، فالإله المطلق حلّ في الإنسان الزمني وأصبح كائنا مقدسا، وكلتاهما تؤمنان بمبدأ (النفعية الداروينية)، وكلتاهما عنصريتان تقومان على إلغاء الآخر للحلول مكانه من خلال إبادته، وكلتاهما تؤكدان أن على الإنسان أن يتخلص من ضعفه ومن ترهّله، وأن يعيش بالقرب من فوهة البركان في حالة استنفار ويقظة دائمة، وكلتاهما تمجدان الماضي (الفردوس المفقود)، والمستقبل (نهاية التاريخ) (زمن الخلاص)، أما الحاضر فما هو سوى حلقة لا قيمة لها سوى وصلها بين الماضي والمستقبل، وكلتاهما كانتا على وفاق بأن حل المسألة اليهودية هي بالهجرة إلى فلسطين، وقد شخص إسرائيل شاحاك لهذا التشابه معرفا دولة إسرائيل بأنها {عنصرية، إرهابية، نازية}.

وكانت كل مقولات مؤسسي الصهيونية متطابقة ومتساوقة مع مقولات النازية، فقد جاء في مذكرة صهيونية تحدد نمط العلاقة بين النازية والصهيونية {على تربة الدولة الجديدة، ألمانيا النازية، نريد أن نعيد صياغة بنية جماعتنا بأكملها بطريقة تفيد ألمانيا واليهود في المجال المخصص لهم، فهدف الصهيونية هو تنظيم هجرة اليهود إلى فلسطين}، أما وايزمان فقد قال بتلميح صهيوني متراكب مع العقلية المنهجية النازية عن العدد الكبير لليهود (الفائض البشري) في ألمانيا {إن أي بلد يود تحاشي الاضطرابات المعوية عليه أن يستوعب عددا محدودا فقط من اليهود}.

ولما قررت، أو تبنت، النازية التخلص من اليهود من المجال الحيوي الألماني بإبادتهم، في سياق الحرب العالمية الثانية، بعد أن فشلت في ترحيله، وجدت بعض التعاون (القذر) من قبل بعض القيادات الصهيونية، التي حاولت أن تستفيد من العنف النازي ضد اليهود لدعم المنظمة الصهيونية، وإجبار اليهود على الالتفاف حول الصهيونية على اعتبارها المسيح اليهودي الذي سينقذ اليهود، ويعود بهم إلى أرضهم المقدسة، وأهم تعاون بين النازية والصهيونية الاستيطانية كان من خلال اتفاقية الهاعفراه (الترانسفير أو الترحيل) سنة ١٩٣٣م، والذي من خلاله سمحت النازية لكل يهودي يهاجر إلى فلسطين أن يُخرج معه جزءا من أمواله شريطة أن يشتري فيها في فلسطين منتجات ألمانية، والمعروف أن اليهودية كانت في تلك الفترة قد أعلنت المقاطعة الاقتصادية لألمانيا، وبذلك فقد تم الالتفاف على قرار المقاطعة اليهودي من قبل النازية، أما الصهيونية فقد استفادت في تلك الفترة بتهجير كتلة بشرية تعد ٥٢٣٠٠ إنسان يهودي بين سنتي ١٩٣٣ - ١٩٤١م جميعهم من النخبة، وعلى رأسهم قرابة سبعة آلاف رأسمالي، والباقي كانوا من الأطباء والمحامين والمهندسين وما شابه من شخصيات الطبقة الوسطى.

وهناك الكثير ممن يؤكدون على أن القيادات الألمانية النازية قد أبقت على لغة الحوار مع الصهيونية، على الرغم من كل الأعمال الاضطهادية لليهود، بل وكانت

تحسن معاملتهم، كما هناك يعتقد بوجود اتفاق سري ما بين الجستابو وفرق الإعدام النازية (الإس إس)، وبين الصهيونية، في تهريب بعض اليهود المنتقين (المفيدين) من ألمانيا إلى فلسطين، ومن أشهر الشخصيات الصهيونية التي كانت متورطة مع النازية ألفرد نوسيج، وهو الذي عمل كمخبر للنازية (عميل للغستابو)، والذي عيّن رئيسا لمجلس وارسو، وقد قدم للنازية خطة لإبادة المسنيّن اليهود في أوربا لأنهم يشكلون (فائضاً بشرياً)، أو (مادة بيولوجية ضارة)، ولما اكتشف اليهود أمره تم إعدامه من قبل المقاومة اليهودية سنة ١٩٤٣م.

أما مردخاي رومكوفسكي فكان رئيس جيتو لودوز، والذي ساعد النازيين على ترحيل اثنين وخمسين ألف يهودي، من أصل مئة وثمانين ألف يهودي هم عدد سكان الغيتو إلى معسكرات الإبادة، لكن الألمان قرروا سنة ١٩٤٤م تصفية الغيتو، وكان مردخاي من الذين رحّلوا إلى معسكر أوشفيتز سنة ١٩٤٤م، حيث مات هناك.

كما ساهم رودولف كاستنر بالاتفاق مع النازي إيخمان بترحيل اليهود بهدوء إلى معسكرات الإبادة، والذي قام بخداع اليهود في المجر، وأقنعهم بأن السلطات النازية سترحلهم إلى معسكرات تأهيل مهني، مقابل ترحيل قرابة ألف وسبع مئة يهودي منتقين (من أفضل المواد البيولوجية)، ولما أكتشف أمره في إسرائيل سنة ١٩٥٢م، دافع عن نفسه بأنه قام بفعلته بتفويض من الوكالة اليهودية، ولما صرح أن لديه من الوثائق التي لو نشرها فستطال رؤساء الوكالة اليهودية، وستؤدي إلى دماء ستسيل في شوارع تل أبيب، وبذلك تم اغتياله على علم السلطات الإسرائيلية.

وإذا كانت بعض الشخصيات قد اتفقت مع النازيين في التخلص من (الفائض البشري اليهودي الضار)، من خلال تصورات فردية، ودون التنسيق مع المنظمة الصهيونية، فإن القيادات الصهيونية كانت على علم، ومعرفة بما كان يدور في معسكرات الاعتقال النازي، وقد حاولت إخفاء ذلك جزئيا عن الرأي العام العالمي، وكانت أحيانا تشكك ببعض التقارير التي كانت تتسرب إلى الإعلام العالمي، كما أنها كانت تحجم عن تقديم أي مساعدة لضحايا النازية، وكانت غير مبالية في تقديم يد المساعدة والدعم لترحيل اليهود المعرضين لأن يكونوا من ضحايا النازية، بل كانت بطريقة غير مباشرة تحرض النازية ضد الجماعات اليهودية، كما كانت تضع عراقيل ضد هجرتهم، وهذا يتماشى مع ما قاله وايزمن سنة ١٩٣٧م من خلال تزويج صهيونيته بالنفعية النازية {أخبرت اللجنة الملكية البريطانية أن آمال ستة ملايين يهودي في أوربا تتركز في الهجرة. وجوابا على سؤال اللجنة: هل يمكن أن تنقلهم إلى فلسطين. أجبت: كلا، سيموت الطاعنون في السن متحملين قدرهم، أو غير قادرين على ذلك، فهم سقط المتاع اقتصاديا وأخلاقيا في عالم ظالم، لن ينجو منهم سوى فرع ضئيل. وعليهم أن يتقبلوا قدرهم هذا} فإبادتهم خير من ذلك في مفهوم الصهيونية، لأن إبادة قسم من اليهود من شأنه أن يمكّن الصهيونية من أن تبيع مقابرهم للعالم بالمال، لدعم المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، وهو ما يتماشى أيضا مع ما كان يراه بن غوريون من أنه يجب ترك هامش للنازية لتقوم بأعمال (لاسامية) ضد اليهود، وأنه يجب ألا يبالغ بالرحمة بالشعب اليهودي، لأن ذلك سيلغي المشروع الصهيوني تماما، وهو الذي كان قد قال: {لو عرفت أن من الممكن إنقاذ كل أطفال ألمانيا - اليهود - بتوصيلهم إلى إنكلترا، في مقابل أن أنقذ نصفهم وأنقلهم إلى

فلسطين، فإني أختار الحل الثاني، إذ يتعين علينا أن نأخذ في اعتبارنا، لا حياة هؤلاء الأطفال وحسب، بل كذلك تاريخ شعب فلسطين}.

أما إسحق جرونباوم فقال سنة ١٩٤٣م {إن بقرة واحدة في فلسطين أثمن من كل يهود بولندا}.

obeikandl.com

الإعلام الصهيوني
والهولوكوست النازي

الهولوكست كلمة ذات أصل يوناني وتترجم إلى العربية بالمحرقة، وهي تعني حرق القربان (الأضحية) بالكامل حتى تحوله إلى رماد على المذبح، وهو من أهم طقوس تقديم الأضاحي عند اليهود، لأن الأضحية أو القربان الذي يقدم للإله يتم حرقه كاملا، وهذه الأضحية تقدم تكفيرا، على هذه الطريقة، عن جريمة الكبرياء، وهذه الكلمة أو هذا التعبير أصبح مصطلحا يشير إلى عمليات الإبادة التي قام بها النازيون (الأغيار) للقرابين المقدسة من الشعب المقدس، وفي المرحلة الأخيرة شاع استعماله للإشارة إلى أي أعمال كارثية، حتى لو كانت طبيعية.

وأعمال الإبادة العرقية الأثنية الدينية عرفت في كل المجتمعات وكل مر التاريخ وفي غير مكان، وبالذات في المجتمعات التي تتفشى فيها العقائد العنصرية، والتي لم يكن في مجتمعاتها الكثير من الأقليات، ففي مثل هذه المجتمعات يتضخم الشعور الأثني في بحيرات فكرية آسنة، وتتضخم فيها الأنا الجمعية للمجتمعات لا سيما تلك التي تنضوي تحت نمط أثني، أو قبلي، أو عرقي، ويرى الباحث عبد الوهاب المسيري أن عمليات الإبادة هي حالة نسقية متشربة ضمن العقلية الغربية لا سيما وأن المسيحية الغربية لم تكن من قبل قد كوّنت أساسات تشريعية للأقليات التي تعيش بين ظهرانيها قبل العصر الحديث.

وقد قامت الشعوب الإحلالية، الاستعمارية الاستيطانية الأوربية، بعدة عمليات إبادة في سياق استيطانهم، ومنها ما قامت بها في استراليا حيث تم إبادة أكثر من مليوني إنسان من الأستراليين الأصليين، وكذلك الأمر بالنسبة لجنوب أفريقيا، وغيرها.

ولكن التجربة الأهم كانت أثناء غزو القارة الأمريكية من قبل الشعوب الأوربية حيث نفذت (هولوكست) في أصحاب الأرض الأصليين من الهنود الحمر الذين، حسب رأي العرق الأبيض، يشكلون عقبة أمام المشروع الاستيطاني الغربي الإمبريالي، وقد

قام (الرجل الأبيض) بإبادة ستين مليوناً من (الرجل الأحمر) الذي كان يعد ثمانين مليوناً.

كما قام الرجل الأبيض بإبادة ما بين ١٠٠ - ٢٠٠ مليون رجل أسود في سياق الحروب التي كانت تشنها مليشيات النخاسين لاعتقال العبيد، وكان النخاسون يقتلون عشرة من العبيد كي يحصلوا على رجل واحد حي في معارك الأسر.

كما يمكن أن نذكّر بشكل عابر بعمليات الإبادة التي قامت بها قوات الولايات المتحدة الأمريكية بالشعب الياباني أثناء الحرب العالمية الثانية دون مسوغ عسكري حقيقي، إلى درجة أن طياري الغارات الجوية الأمريكية على طوكيو كانوا يشمون رائحة الشواء البشري (الهولوكوست) وهم على ارتفاع عالٍ، وكان على رأس هذه الأعمال الإبادية مجزرتا ناغازاكي، وهيروشيما.

كما يمكن أن نذكّر أيضا بعمليات الإبادة التي قام بها ستالين ضد الشعوب المختلفة وعلى رأسها الشعوب الإسلامية، وأخيرا يمكن أن نذكّر بآخر عمليات الإبادة والتطهير العرقي (الهولوكست) التي قامت بها الشعوب الأوربية المسيحية (الصرب) بالشعوب المسلمة في البوسنة والهرسك، وحتى بالشعوب المسلمة في كرواتيا، أما عمليات الإبادة في الشيشان فهي ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا.

وهناك الكثير من عمليات الإبادة العرقية العنصرية التي يمكن ذكرها، ومنها عمليات الإبادة (الهولوكوست) التي قامت بها القوات التركية بالأرمن، ومنها أيضا عمليات الإبادة العرقية الأثنية القبلية التي حصلت في أكثر من مكان من القارة الأفريقية.

وقد جاء الهولوكوست النازي للشعوب غير الآرية في سياق أعمال الإبادة العنصرية الأوربية، وكان من الشعوب التي تعرضت لأعمال الإبادة النازية الشعوب السلافية، والغجرية، واليهودية على وجه التحديد، ويُعَدّ الهولوكست النازي لليهود التعبير الأوضح والأصرح للحقد المتبادل بين اليهود، وبين باقي الأمم، وعلى وجه التحديد الأمم الأوربية المسيحية، وقد نتج هذا الهولوكوست بعد غليان هذا الحقد لقرابة ألف عام.

وكانت النازية من خلال اعتناقها للمذهب المادي النفعي، الذي زاوجته بالفلسفة الهيجلية النيتشوية الداروينية، وقد جعلت النازية من الشعب الألماني (العرق الآري)

عرقا سيدا، قد صنّفت البشر إلى قسمين: بشر نافعون، وبشر غير نافعين أو ضارين (الفائض البشري)، وقد صُنف في القسم الثاني الأقزام والمشوهون جسديا وأصحاب العاهات والشيوخ والعجزة والسلاف والبولنديون والغجر واليهود، قد وضعت النازية ثلاث آليات للتخلص من الشوائب البشرية ضمن هذا العرق:

أولها تأهيل الشوائب الوظيفية (الفائض البشري) إن أمكن تأهيلها.

وثانيها ترحيل الشوائب المورفولوجية، والفائض الذي لا يمكن تأهيله.

وثالثا إبادة ما يتبقى، أو الذين لم تنجح معهم الآليتان السابقتان.

أما بالنسبة لليهود والذين كانوا يشكلون قرابة ١% من مجموع السكان في ألمانيا النازية، فقد كان لهم خصوصية في التصور النازي، فكما سبق وتحدثنا عن أوجه التشابه، أو التطابق بين النازية واليهودية، فقد كان هذا التطابق يحوي ضمنه تنافرا شديدا على الوجه الآخر، فالنازيون يعتقدون أن العرق الآري هو العرق ذو الصفات الجيدة، فهو الأجمل، والأنبل والأطول، والخلاق، والمبدع في كل الفنون والآداب والعلوم وهو حامل لواء السيادة، وكان التصور النازي يذهب إلى أن العرق السامي بدائي، مقلد، لا يمتلك أي مقومات الإبداع والتطور، وهو العرق الذي يقف عثرة في وجه تطور العرق الآري.

أما اليهود فكانوا يعتقدون أنهم شعب الله المختار المقدس، الذي تم خلقه من طينة مقدسة، وصاحب الديانة السماوية الأولى، ومؤسس اللبنات الأولى للحضارات، وكان اليهود ينظرون إلى الشعوب الأخرى، ومنهم الشعوب الآرية، على أنهم شعوب مدنسة، ضالة، ولذا يجب عدم الاختلاط بهم.

وبسبب تعارض هذين التصوريين العنصريين المتماثلين فقد تنافسا على نفس الموقع الحضاري حسب تصورهما، وبالتالي فإن الأقدر، في لحظة المنافسة، سيقوم بإقصاء الآخر، كي ينصّب نفسه سيدا على الحضارة، وقد أمتلك النازيون تلك اللحظة، وقد قررت النازية، في سياق تنظيف المجال الحيوي الألماني من الشعوب غير الآرية التخلص من اليهود (الشوائب المورفولوجية العرقية) من خلال ترحيلهم أولا، وإن لم تستطع فمن خلال إبادتهم، وقد بدأت النازية تطبق سياستها بشكل عملي على اليهودية مع استلام هتلر السلطة المطلقة ١٩٣٣م، وكانت أولى الإجراءات النازية هي مقاطعة الأعمال التجارية اليهودية، مترافقا مع حجب الكثير من الوظائف عن اليهود، ثم استبعاد

التعليم من أطفال اليهود، وفي سنة ١٩٣٥م صدرت قوانين نورنبرغ التي نصت على استبعاد اليهود من عضويتهم في الرايخ الثالث.

وقد قام هتلر بإقصاء اليهود من ألمانيا، ثم من الدول التي استطاع أن يسيطر عليها، من خلال التهجير أولا، والطرد في مرحلة ثانية، وكانت قد طرحت في تلك المرحلة عدة غيتوات في سوريا، والاكوادور، ومدغشقر من أجل ترحيل اليهود إليها، ولكن، وبسبب الظروف الميدانية العسكرية في سياق الحرب العالمية الثانية، فقد قرر هتلر اللجوء إلى المرحلة الثالثة من مراحل التخلص من (الشوائب العضوية)، وهي مرحلة الإبادة، ونفّذ فيهم الهولوكوست.

وأرقام اليهود الذين قامت النازية بإبادتهم مختلف عليه بعض الشيء، فالصهيونية تدعي، أن من أبيد من اليهود في الهولوكوست النازي أربعة ملايين، على الرغم من أنه من الثابت إحصائيا أن عدد اليهود في كل الدول الأوربية التي كانت خاضعة لألمانية النازية قبيل الحرب العالمية الثانية، وقبيل أن يباد اليهود في ألمانيا هم ثلاثة ملايين ومائة ألف إنسان، ومن هنا، واعتمادا على بينات متعددة، فإن الكثير من الباحثين يعتقدون أن عدد من أبيدوا من اليهود في أشفيتز يتراوح ما بين ٩٥٠ ألف، ومليون ومئتي ألف، وهو رقم شديد البعد عن الرقم الذي ادعته، وفرضته الصهيونية.

وبغض النظر عن العدد الحقيقي، فإن هذا لا ينقص من البعد الأخلاقي لهذه الجريمة البشعة، ولكن تفاوت الأرقام بين الرقم الموضوعي، والرقم الادعائي الصهيوني يضعنا أمام منظمة ارتزاقية، ساهمت بطريقة أو بأخرى بتقديم، من تتحدث باسمهم من اليهود، قرابين على صليب النازية، أو على أقل تقدير غضّت النظر عما كان يجري في أشفيتز، ولم تقم بدورها المفترض للدفاع عنهم، ويُعَدّ ذلك مشاركة سلبية في تلك الجريمة، ثم أجبرت دول العالم، والمنظمات الدولية، وبطريقة ابتزازية، على شراء أرواحهم بالمال، وبينما قامت النازية بتصنيع بعض أنواع الصابون التي استخدمت في صناعتها مواد دسمة من أجساد اليهود، وبعض أنواع الوسائد المحشوة بالشعر الإنساني، وسماد، ومواد عازلة من رماد الجثث، وأمشاط من العظام البشرية، قامت الصهيونية بواسطة جهازها الإعلامي بصناعة مواد متعددة من الأرواح البشرية اليهودية، وعلى رأسها بعض الأساطير، والقصص، والسيناريوهات، وباعتها، بطريقة ارتزاقية، في الأسواق العالمية، بعد أن كانت قد درّبت بعض اليهود الذين فروا من

المعسكرات النازية كي يتحدثوا عن قصص تنخلع لها القلوب، وترتجف لها الأفئدة، وتسّيل دموع الحجارة مدرارة.

وقد استطاعت الصهيونية من خلال إمبراطوريتها الإعلامية أن تضع عدسات مضخمة أمام الهولوكست النازي إلى درجة تكاد تسبب الشعور بالدوران لمن ينظر إليها، ولأن المهزومين ليس لديهم قدرة للرد على ادعاءات الآخرين، لذلك فإن المنتصرين، وأحلافهم يصبح لديهم القدرة على تلفيق ما شاؤوا من الادعاءات، والأكاذيب، والأباطيل، وجعلها حقائق، بل وبديهيات لا تحتاج إلى أدلة، وبراهين.

وكما أن الحقائق المختلف عليها تنتهي إلى الإهمال إن لم تجد دائما من يعيد التأكيد عليها، كذلك هي الأباطيل فمن الممكن وشمها في الذهن كما لو أنها حقيقة من خلال توظيفها إعلاميا بشكل متكرر، وقد وظّف الإعلام الصهيوني كل أنواع الآداب، والفنون، والإعلام، والإعلان (أفلام - كتب - دراسات - فن تشكيلي - منحوتات - نصب تذكارية)، من أجل أن تجعل من ادعاءاتها حقائق لا يرقى إليها الشك، كما وطدت ادعاءاتها في الذهنية العالمية بشكل عام، إلى درجة أن العالم الغربي، والأمريكي على وجه الخصوص يعرف عن الهولوكوست النازي لليهود أكثر مما يعرف عما فعلته آلة الحرب الأمريكية في بيرل هاربر، وفي ناغازاكي وهيروشيما، وفيتنام بكثير.

كما استطاعت الصهيونية أن تحتكر الهولوكوست الألماني لنفسها، وتفرض على الرأي العام العالمي ادعاءاتها بأن (جريمة العصر) هي جريمة غربية ألمانية ضد الشعب اليهودي، مهمشة، بل ومغيبة الأعمال والمجازر النازية ضد الشعوب الإنسانية المتعددة التي تعرضت للإبادة على يد القوات النازية، بل إنها استطاعت أن تجعل من الهولوكوست بناء أيديولوجياً لمؤسسة تجارية تبحث عن مكاسب خاصة، بل إنها طوّرت، وعولمت هذه الصناعة بحيث إنها استطاعت أن تبيع تراخيص لصناعتها في بعض الأسواق المحلية بأغلفة جديدة، وربما بأسماء جديدة، كما جعلت الصهيونية من الهولوكوست طوطما وشكلت له جهازا كهنوتيا، وجعلت من المشككين بالادعاءات الصهيونية للهولوكوست النازي لليهود نوعاً من الزندقة التي توجب تصفية صاحبها.

والصهيونية من خلال منطقها الابتزازي لم تكتف بتحميل الألمان (الهولوكوست)، بل حمّلت العالم الغربي كله مسؤولية أخلاقية لأنها لم تقم بدورها بمد يد المساعدة لإنقاذ اليهود من الهولوكوست، بحجة أن بعض الدول الأوربية أغلقت

حدودها أمام اليهود الذين كانوا يحاولون الهروب من جحيم الإبادة، بل إن الصهيونية استطاعت أن تجعل من تعابير مثل (صمت العالم) تهما خطيرة وجهتها إلى بعض الدول لمجرد أنها وقفت بحيادية في الحرب العالمية، وأجبرت تلك الدول على دفع أو تقديم قرابين (تعويضات مالية) تكفيرية إلى كهنة الصهيونية، وحتى إنها دفّعت تعويضات لبعض الدول التي لم تكن تسمع حينها بالهولوكوست النازي، أو سمعت به بشكل هامشي، مثل الدول العربية، حيث جعلت منهم الصهيونية الإعلامية مكمّلين لدور النازية في الهولوكست لأنهم وقفوا ضد دخول اليهود الهاربين من الهولوكوست إلى فلسطين، لا سيما وأن بعض الحكومات العربية قد تحالفت، أو وقفت، أو تعاطفت، مع القوات النازية، والذي في الحقيقة لم يكن سوى تعاطفا ووقوفا مع أعداء الإنكليز الذين يحتلون الأرض العربية.

وهذه المسؤولية الأخلاقية التي حملتها الصهيونية قسرا للعالم الغربي، جعلته، كتكفير عن ذنوب حمّلتها له الصهيونية طوعا وقسرا، بغض النظر عن المجازر التي تنفذها الصهيونية بالشعب الفلسطيني، وربما عما قريب سينعتون التنظيمات الفلسطينية التي يصنفونها بالتنظيمات الإرهابية، بالحزب النازي، وكأن العالم الغربي، ومن خلال تأييد الصهيونية على إبادتها للشعب الفلسطيني من دير ياسين، وحتى هولوكوست مخيم جنين، مرورا بمجزرتي صبرا وشاتيلا تريد أن تطمس من الذاكرة الهولوكوست النازي، أو على الأقل كي تأخذ صك غفران عن معسكرات الإبادة في أوشفيتز وسواه، كما استغلت الصهيونية الإعلامية منبر الهولوكوست، أيضا، لإسكات تذمرات الرأي العالمي من الممارسات الإسرائيلية الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، والعربي بشكل عام.

لقد استثمرت الصهيونية الهولوكوست النازي إلى أبعد درجة لا سيما ما بين نهاية الحرب العالمية الثانية، وحتى سنة ١٩٦٧م، وجعلت من الهولوكوست مذبحا حصريا باليهود، وأعادت صناعته إعلاميا لتجعل منه بقرة حلوبا لا ينتهي ضرعها، وابتزت من خلاله الأموال من أوربا وبالرغم من أنفها، وعلى الرغم من أن هذه الصناعة قد خف بريقها التسوقي بعد سنة ١٩٧٣م، ولا سيما بعد سنة ١٩٩٠م، وتهرب دولة إسرائيل من استحقاقات السلام، إلا أنها ما بين الفترة، والأخرى تقوم الصهيونية الإعلامية بإعادة ترويج بضاعتها في السوق الإعلامية العالمية.

وكان أحد، وأهم نتائج، حملتها الإعلامية حصولها على قرار التقسيم في هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧م، ومن ثم إقامة كيان صهيوني شرعي بالمفهوم البروتوكولي الدولي في فلسطين، وبمعنى ما تُعَدّ دولة إسرائيل أحد منتجات الصناعة الهولوكستية، وبالتالي فقد جعلت الصهيونية من الهولوكوست الصليب الذي من خلاله سوف ينتقل اليهود من الهامشية التاريخية إلى مركزه، وتسيده على العالم، حيث صوّرت الشعب الذي أبيد في الهولوكوست هو المسيح الذي أعاد اليهود (شعب الله المختار) إلى الأرض الموعودة، وهو الذي سيجعلهم يتسيدون على العالم، وها هم يحاولون الآن وضع المعتقد والشريعة التي سيدين بها العالم.

كما أن الصهيونية كانت قد جنّدت جهازها الإعلامي، في تأجيج الهولوكوست النازي في سياق حرب حزيران سنة ١٩٦٧م، والتي سيطرت من خلالها على ما تبقى من الأراضي الفلسطينية، وبعض أراضي الدول العربية المجاورة، وقد استطاع الإعلام الصهيوني، في سياق تلك الحرب، أن يربط، ويساوي، ويماثل بين القومية العربية، والنازية الألمانية، مستغلة بعض المقولات غير المسؤولة للقومية العربية، ولا سيما خطاب جمال عبد الناصر (سنلقي بهم في البحر)، وقد جعل الإعلام الصهيوني من الزعيم العربي عبد الناصر كما لو أنه هتلر عربي، وشوّه صورته، وصورة الشخصية العربية إلى أبعد حد، في الوقت الذي كانت فيه الصهيونية اليهودية العنصرية، فكرا، وتطبيقا أشد غلوا من النازية الألمانية، وبذلك فقد جعلت الصهيونية الإعلامية ذكرى الهولوكوست النازي الذي يمكن تحديثها، وتحضيرها في أي وقت، تبريرا لما تقوم به دولة إسرائيل على أرض الحاضر.

كما أن الإعلام الصهيوني، وفي نفس السياق، جعل من الرئيس العراقي صدام حسين هتلرا عربيا، ولكنها قلبت المعادلة، فقد جعلت من العراق، بالتعاون مع الولايات الأمريكية، غيتو وارسو، ونفذ العالم الغربي فيه هولوكوست الجوع، حيث مات في العراق بسبب الحصار الاقتصادي للعراق قرابة مليون طفل، أما سجن (أبو غريب) فهو هولوكست نفسي، وليست محاكمة صدام حسين سوى محاكمة هولوكوستية.

وعلى الرغم مما تعرض له اليهود، بسبب نموذجهم الشخصي، من اضطهادات على مر التاريخ، فقد نفذوا في الشعب العربي الفلسطيني اضطهادات أشد قسوة، ودون أدنى مسوغ، والطريف في الأمر أن هذا الشعب يقول على لسان إيلي فيزيل {لا يوجد

شعب في العالم يدرك العرفان بالجميل مثلنا، نحن شاكرون حتى نهاية الأزمان، نحن معاقبون أزليا، ونحن أزليا أبرياء: هذا هو حمل اليهود}.

obeikandl.com

الإعلام الصهيوني
والتطلعات الإمبريالية الاستعمارية الغربية

استطاع الإعلام الصهيوني، ومن خلال الادعاءات التاريخية، والسياسية أن يقنع الرأي العالم الغربي بالوقوف إلى جانب الصهيونية، في إعادة اليهود إلى فلسطين، ودعمها في صراعها السياسي العسكري مع العرب، لا سيما وأن تلك العودة مرتبطة بتحقيق الرؤى الدينية المسيحية، كما أن وقوف العالم الغربي إلى جانب الصهيونية، سيكفر، ويخفف من عقدة الذنب التي يشعر بها بعض الأوربيين لما سببوه لليهود من اضطهاد على مر تاريخهم، ولا سيما ما قامت به النازية من إبادة للجماعات اليهودية، كما أن العالم الغربي إضافة لما سبق يرى أنه بدعمه للصهيونية يكافئها على وقوفها إلى جانب دول التحالف في الحرب العالمية الثانية، وفي الوقت نفسه يتخلص من بؤر الفساد الاجتماعي والسياسي التي يمثلها اليهود، وهي ما تتوافق مع الرؤى المسيحية، الكاثوليكية، والبروتستانتية.

أما الفكر الاستعماري السياسي، الذي التقت مصالحه، مع التطلعات الصهيونية، والذي قام الإعلام الصهيوني بإبرازه، فقد حاول أن يجعل من الصهيونية خنجرا مسموما في قلب الأمة العربية والإسلامية، يمكن له استنزاف الشخصية العربية ومقدراتها، وتهديم البنية التحتية، التي قد تعاود عليها الأمة العربية إنشاء بناء حضاري في أي وقت تتهيأ الظروف المناسبة.

وقد استطاعت الصهيونية أن تلتقط المطامح الاستعمارية، وأن تقدم نفسها كأداة منفذة للفكر الاستعماري، وطرحت عقدا يقوم على أساس المصلحة المشتركة بين تطلعات الأوربيين المادية، وتطلعات اليهود الروحية، وكان آباء الصهيونية الروحيون قد روّجوا لهذا العقد، وعلى رأسهم موسى هس الذي يقول إن اليهود سيكونون {مركز اتصال بين القارات الثلاث.. - وسيكونون - حملة الحضارة إلى شعوب لا تعرفها.. - وسيكونون - الوسيط بين أوربا وآسيا البعيدة، وذلك كي يمهدوا الطرق التي تقود إلى الهند والصين، لكل المناطق المعزولة التي يجب أن تعرّض للحضارة}.

وهو الخطاب الذي ردده تلميذه النجيب هرتزل في كتابه (الدولة اليهودية) {إننا سنشكل جزءا من متراس أوربا في وجه آسيا. كقاعدة أمامية تعارض البربرية، وينبغي علينا كدولة محايدة، أن نبقى متحالفين مع أوربا بأكملها، التي سوف يترتب عليها أن تضمن وجودنا}، كما ردد أيضا مقولات الصهيونية غير اليهودية في خطابه أمام المؤتمر الصهيوني الأول {إنه لمن مصلحة الأمم المتحدة أكثر فأكثر، ومن مصلحة المدنية بشكل عام، أن تؤسس محطة حضارية عبر أقصر طريق إلى آسيا. إن فلسطين هي تلك المحطة، ونحن اليهود حملة الحضارة، المستعدون لبذل أملاكنا وأرواحنا من أجل تكوينها}، وهو الذي كان قد أدرك أن الطريق إلى أورشليم يمر

عبر لندن {إن الإنجليز كانوا أول من أدرك ضرورة التوسع الاستعماري في العالم الحديث، ولذلك يرفرف علم بريطانيا العظمى فوق البحار. وأعتقد بأن الفكرة الصهيونية، وهي فكرة استعمارية ستحظى، أو من الواجب أن تحظى في إنجلترا بفهم سريع وسهل}.

ويقول أيضا ماكس نوردو في هذا السياق {سنجيء إلى فلسطين لنوسع حدود أوربا ونصل بها إلى الفرات}.

أما جابوتنسكي فقد خاطب الإمبريالية الإنكليزية مركزا على أهمية فلسطين بالنسبة لها مؤكدا على {أن فلسطين، يجب ألا تظل بلدا عربيا}.

كما ردد هذا النداء وايزمان، والذي كان يشكك في الولاء العربي للإمبريالية الغربية {إن الحركة العربية تقود المرء للاعتقاد بأنها مناهضة لأوربا.. ولذا يجب الاعتماد على اليهود لضمان وجود عنصر موال}، والذي كان قد كتب لتشرشل {إن السياسة الصهيونية في فلسطين ليست على الإطلاق تبديدا للموارد، وإنما هي التأمين الضروري الذي تعطيه لك بسعر أرخص من أن يحلم به أي فرد آخر}، وهو الذي كان قد أجاب على سؤال وجه له عن سبب حماس الإنكليز لتبني المشروع الصهيوني، حيث أجاب وايزمان قائلا {إن الإنجليز، لا سيما أصحاب المدرسة القديمة، هم أشد الناس تأثرا بالتوراة، وتدّين الإنجليز هو الذي ساعدنا في تحقيق آمالنا. لأن الإنجليزي المتدّين يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب عودة اليهود إلى فلسطين. وقد قدمت الكنيسة الإنجليزية من هذه الناحية أكبر المساعدات}، وهو القول الذي كنت قد استشهدت به في سياق حديثي عن تأثير التصور الديني الغربي المسيحي في الوقوف إلى جانب الصهيونية.

أما زانغويل فقد قال في خطاب موجه إلى الغرب الأوربي، وتحديدا بريطانيا {نحن نعرف ماذا تنتظرون منا، تريدون أن نحرس لكم قناة السويس. إن علينا أن نحرس لكم طريقكم إلى الهند عبر الشرق الأدنى، ونحن على استعداد للقيام بهذه المهمة الشاقة، لكنه من الضروري أن تسمحوا لنا بإنشاء قوة ذاتية تمكننا من القيام بهذا الواجب}، كما أن هذه الدولة ستكون {رأس جسر بين دول الغرب الاستعمارية والبلدان التي كانت مستعمرات سابقا للغرب} حسب قول ميخائيل برتشر، والصهيونية لا ترى حرجا في أن تعلن عن هذا الدور الوظيفي الوضيع.

وكان جرشوم شوكن رئيس تحرير صحيفة هآرتس قد كتب سنة ١٩٥٢م {لقد أعطيت إسرائيل دورا لا يختلف عن دور كلب الحراسة، ولا داعي هناك للخشية من أن تمارس إسرائيل سياسة عدوانية تجاه الدول العربية إذا كانت هذه السياسة لا تتعارض مع مصلحة الولايات المتحدة وبريطانيا. ولكن إذا شاء الغرب لسبب أو لآخر أن يغمض عينيه فبالإمكان الاعتماد على إسرائيل لتنزل عقابا قاسيا بتلك الدولة المجاورة التي تتجاوز الحدود المناسبة في قلة أدبها تجاه الغرب}، ودون أن تحاول، من خلال ذلك أن تتمرد أكثر من الهامش المسموح لها، من قبل الإمبريالية عن دورها الوظيفي، بل إن الصحفي كان أكثر وضوحا، وجرأة في التحدث عن هذا الدور بعد أن تسيدت الولايات المتحدة قيادة الإمبريالية العالمية {إن إسرائيل كلب حراسة حاد الأسنان مربوط بسلسلة طرفها بيد الولايات المتحدة، تطلقه متى تشاء وعلى من تشاء}.

أما يساهاياهو ليبويتز من جامعة القدس العبرية فيقول {الأمريكيون غير معنيين إلا بفكرة الإبقاء هنا على جيش من المرتزقة الأمريكيين ببزة الجيش}، ويقول {تأتي قوة القبضة الإسرائيلية من القفاز الفولاذي الأمريكي الذي يغطيها، ومن الدولارات التي تنجده}، وقول أيضا {ليست دولة إسرائيل دولة تملك جيشا، وإنما هي جيش يملك دولة}

والجدير ذكره أن الصهيونية، ودولة إسرائيل في ما بعد كانت تدين بالولاء، وتقدم خدماتها الوظيفية إلى العالم الغربي الراعي لوجودها بشكل عام، وإنكلترا بشكل خاص، وقد حصل بعض التنازع بين أوربا الغربية والولايات المتحدة على دور الوصايا والاستثمار، واستمر هذا التنازع ما بين سنة ١٩٤٨ وسنة ٧٦، وقد برز هذا الصراع الخفي في سنة ١٩٥٦م في سياق العدوان الثلاثي الأوربي الإسرائيلي على مصر، ولكن في نفس تلك السنة استطاعت الولايات المتحدة أن تفرض سيطرتها على الساحة، وأن تبعد وبشكل نهائي النفوذ والتواجد الأوربي في المنطقة، وفي سنة ١٩٦٧م، وبعد أن أظهرت إسرائيل قوتها العسكرية والتكتيكية، استطاعت أن تقدم برهانا عمليا للولايات المتحدة الأمريكية بأنها قادرة على أن تكون الحليفة والوكيلة الوحيدة للولايات المتحدة في المنطقة، كما أنها أكدت أن دورها الوظيفي سيكون في خدمة السياسة الأمريكية بشكل حصري.

obeikandl.com

الإعلام الصهيوني
والإعلام العربي

يقول جورجي كنعان في كتابه (الله هو القضية) {إن الإعلام العربي.. يعاني الغباء والغفل والظلمة العقلية الطامسة، وتنقصه الكفاية إلى درجة تثير الشفقة، ولست مستعدا للاعتراف له بأي قدرة على التفهم، وأي قدرة على التبصر، وليس للمقيمين على شؤونه الثقافية أي بصيص من الوعي، ولذلك فهم لا يفرقون بين حبة القمح وحبة الزؤان في تلال الوعي الذي يدعون، والمؤسف أن أفضل تعبير عن انهيار مجتمع أو أمة هو ظهور أعراض غياب الوعي لدى الأفراد فيه أو فيها}.

وجورجي زيدان له الحق في أن يوجّه خطابه إلى الإعلام العربي بهذه اللهجة التقريعة، فقد كان للإعلام العربي المتخلف دور سلبي في مواجهة الادعاءات التاريخية اليهودية الصهيونية، والبحث في التصورات الدينية اليهودية للتاريخ، وجلّ ما كان يقوم به الإعلام العربي هو التركيز على التاريخ الحديث، واللهاث وراء حمى الأحداث، ومحاججة الدعاية الصهيونية على ما يستجد في الحاضر، وعلى بعض القضايا السطحية، وهي المصيدة التي نصبتها الصهيونية وسقط فيها الخطاب العربي بسذاجة، وبذلك ترك للإعلام الصهيوني الساحة ليكتب التاريخ كيفما شاء في ذهن العالم، بل إنه استطاع أن يغزو تصورات بعض الباحثين التاريخيين العرب، وجعلهم يتخبطون في بحوثهم التاريخية، وبدل أن يحققوا نواياهم المخلصة الصادقة في نصرة التاريخ الحقيقي، قدموا لمقولات التأريخ اليهودي ما لم يقدر الإعلام اليهودي الصهيوني على تزييفه.

وبالتالي فقد استطاع الإعلام الصهيوني من الوقوف متفردا على أعلى المنابر ليتلو خطابه التاريخي، والسياسي، دون رد، أو صد، أو تشويش، بعد أن تمكّن من تحجيم، بل وتكميم الخطاب العربي الإسلامي، وبينما كان الإعلام الصهيوني يقوم بصناعة الأحداث، كان الإعلام العربي يتابع، أو يلحق بما يجري من أحداث، ويتلو خطابه على أساس قطري دون أي تنسيق استراتيجي يرقى إلى أدنى درجات الإعلام التي أنشأته الصهيونية التي تمكنت من صنع كل ما من شأنه أن يدعم ويعزز موقفها، لا سيما بجانبه السياسي في البداية، ثم العسكري والاقتصادي.

والإعلام العربي، بل والوعي العربي يعتقد بأن دولة إسرائيل هي بنت الحاضر، وقد نشأت على أساس وعد بلفور، الذي يختصر الإرادة الإمبريالية، وعلى يد الصهيونية عراب العلاقة بين اليهودية والإمبريالية الغربية، وهي نظرة قاصرة، ولا ترى سوى السطوح من الأشياء، وهذه النظرة تحول دون البحث الحقيقي في معالجة القضية أو هذا الصراع الوجودي، كما أن العرب ينظرون إلى اليهود على أنهم من شذاذ الأفاق، الهاربين من الاضطهادات الأوربية، ومن المحاكم الأوربية، وبدعم من الإمبريالية الغربية الاستعمارية، أي هو هارب من الحاضر فحسب، ولم يأخذ العرب بحسبانهم أن دولة إسرائيل هي نتاج

وعد الرب يهوه، لشعبه المختار، التي شاءت له ظروف مرحلية أن يحقق فيها عقيدته على أرض الواقع، من خلال الصهيونية التي ليست أكثر من حالة تفعيل لليهودية التوراتية، التي تعتمد على عقيدتي أرض الميعاد، وشعب الله المختار، والمسيح اليهودي، ولذا فالعرب لا يحاججون أبدا بالادعاءات التاريخية اليهودية، بل يحاججون على أسس سياسية حقوقية مرتبطة بالراهن من الأحداث.

ولكن، ومنذ فترة قصيرة، ومع بدء تشكل حالة من الوعي في الإعلام العربي، وتعالي أصوات المدافعين عن الحقيقة في العالم ككل، بدأت أصوات، وأقلام، ودراسات متعددة تحاول إعادة قراءة مصداقية، وأخلاقية مقولات الخطاب الصهيوني السياسي في الماضي، والحاضر، وتأثيرها على صناعة الأحداث، وهي جاءت مترافقة أو ضمن عودة الوعي الإنساني لقراءة خطاب الأمم والشعوب المنهزمة، مثل خطاب الهنود الحمر حول استيطان الرجل الأبيض، وخطاب المجتمع الفيتنامي حول الغزو الأمريكي لبلادهم، والنقطة الأهم في هذا الاسترجاع هو إعادة قراءة التأريخ التوراتي لمنطقة الشرق العربي، وتحريره من هيمنة الأسطورة التوراة، ومن حالة التشويش التاريخي التي لا تألو الصهيونية جهدا في دعمها، والتي تقنع الكثير من العلماء بالعدول عن مزيد من البحث الآثاري الجاد للمنطقة، لا سيما تلك التي يخشى منها أن تكشف أو تشكك بالمقولات التوراتية، وكما أن الانتفاضة الفلسطينية الأولى قد كشفت بصوت واضح وجلي وصارخ زيف مقولة (فلسطين أرض بلا شعب)، كذلك هناك انتفاضة آثارية - تاريخية بدأت تعلن عن زيف التأريخ التوراتي الذي أقصى وهمّش التاريخ الكنعاني، وتؤكد هذه الانتفاضة الآثارية أن الكيان الإسرائيلي التاريخي إن كان له وجود حقيقي، فإنه لم يكن سوى عنصر في تركيبة التاريخ الكنعاني، وليس العكس، كما سوّقت لذلك التوراة من جهة، والخطاب الصهيوني من جهة ثانية، وأن الكيان الإسرائيلي ماضيا وحاضرا، هو الذي استطاع من بين الكيانات أن يوصل خطابه التاريخي المزيف، من خلال اعتماده على اللغة التي سجل بها أحلامه، وطموحاته، وهذياناته، ومعتقداته، وحرص على تطويرها وصيانتها عبر الزمان، في الوقت الذي فشلت فيه باقي الجماعات، والشعوب مثل الكنعانيين والفلسطينيين بإيصال خطابها التاريخي.

ونهاية، وعلى الرغم من أن الصراع الإعلامي في المنطقة مجرد ساحة كانت قد استغلت فيه الصهيونية انتصارات جولاتها الأولى، وأسست بمقتضاها دولة إسرائيل التي أصبحت أمرا واقعا، وهي السياسة (سياسة الأمر الواقع) التي اعتمدت عليها الصهيونية بعد أن استنفذت كل طاقات الخطاب الديني التاريخي، إلا أنه من الضرورة أن يتكشف للعالم ككل، وللغربي على وجه الخصوص، الزيف الذي انطلى - وما زال - عليه، والتواطؤ الذي مارسه السياسي الأوربي من جهة، والباحث الآثاري والمستشرق الغربي من جهة ثانية في تقبل هذا الزيف بآلية انفعالية مقصودة.